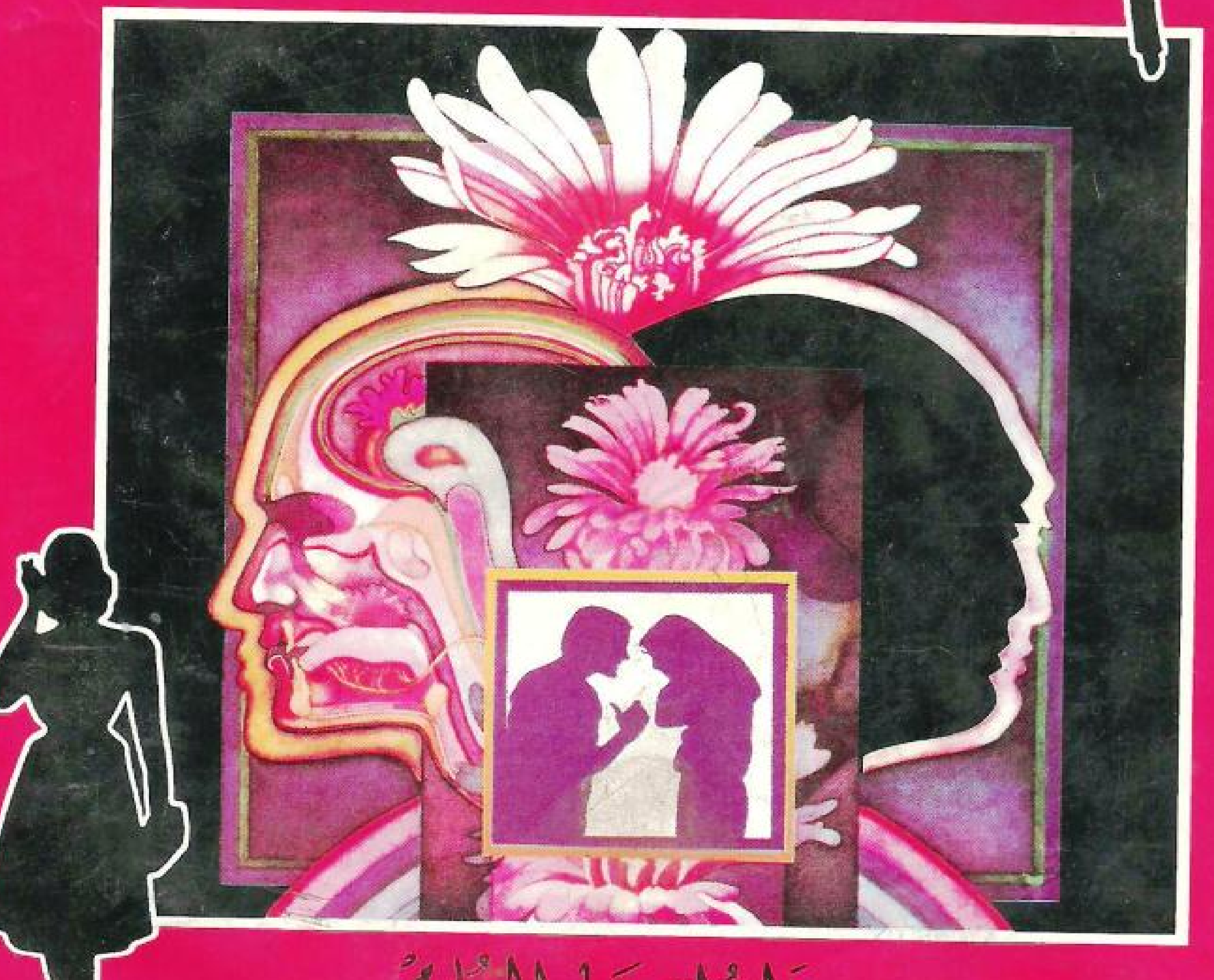
الدكتور طارق كمال النعيمي

سايكولوجية الرجل والمرأة

المشكلات الزوجية
أسبابها وطرق علاجها



دار إحياء العلوم
بيروت

سايكولوجية الرجل والمرأة

أحدث دراسة علمية حول المشكلات الزوجية
أسبابها وطرق علاجها

تأليف
الدكتور طارق كمال النعيمي

دار إحياء العلوم
بيروت

سايكولوجية الرجل والمرأة

أحدث دراسة علمية حول المشكلات الزوجية
أسبابها وطرق علاجها

الطّبعَة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م



المقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين حشرنا الله وإياهم محشر الشهداء والصديقين.

كلنا يعلم الحقيقة المرّة التي تقول أن الغرب في الوقت الحاضر متقدم علينا تقدماً كبيراً بعدما كان يجرّ أذياله خلفنا. نعم، فقد كنا في زمن الدولة الأموية والعباسية وحتى بعد ذلك في قمة التقدم الحضاري والعصر الذهبي بينما كان الغرب آنذاك يعيش في عصر الظلمة وهو الذي كان يجرّ أذياله وراءنا، وللأسف الشديد، فقد انقلبت الآية الآن وأصبح هو في المقدمة ونحن في المؤخرة.

عزيزي القارىء: لا تعتمد الحياة في الغرب على ما قاله المتقدمون الذين عاشوا في عصور سابقة، أبداً فالتقارير والنتائج المستخلصة حالياً مبنية على دراسات ميدانية وأبحاث علمية حديثة ومتواصلة استغرقت سنوات طوال جداً بذل خلالها نبذة كبيرة من العلماء وأصحاب الاختصاص جهوداً جبارة في الدراسة والمراقبة وكرسوا سنوات طوال من أعمارهم مستخدمين أحدث الأجهزة العلمية والتكنولوجيا الحديثة من أجل التوصل إلى نتائج نحتاج إليها في عصرنا هذا.

لم يعتمدوا على ما قاله فلان أو علان في القرن الرابع عشر أو الخامس

عشر أو أية فترة زمنية غابرة. فهم يعلمون جيداً أن ما قاله فلان أو علان في تلك الحقبة الزمنية كان صائباً وصحيحاً ومناسباً تماماً للعصر الذي عاشوا فيه إلا أننا نعيش حالياً في أواخر القرن العشرين وعلى مشارف القرن الحادي والعشرين ولا شك أن الأمور تغيرت تغيراً كبيراً ولم تعد على ما كانت عليه في السابق ولم يعد ما قاله المتقدمون كافياً أو مناسباً. وكذلك فإن هناك شك كبير في إمكانية تطبيقه والاعتماد عليه في الوقت الحاضر، وبناء على ذلك فإن الواجب يحتم علينا أن نبذل جهوداً جبارة كما بذلها السابقون من أجل مواكبة الحياة العصرية التي نحياها وكذلك وضع أساساً متيناً للأجيال التي ستأتي من بعدنا.

لا شك أن جابر بن حيان والرازي والبحتري والفرزدق، وغيرهم من الجهابذة كانوا أعلاماً كل في مجال تخصصه، ولا شك أنهم كرسوا سنوات طوال من أعمارهم واعتمدوا على ذكائهم وتجاربهم ودراساتهم في استخلاص النتائج التي توصلوا إليها آنذاك.

كانت تلك النتائج في ذلك الوقت اكتشافات مذهلة وسبقاً علمياً وهم يشكرون على كل ذلك وجزاهم الله تعالى خير الجزاء، إلا أن الحياة، وكما نعلم، تغيرت والعلم تقدم تقدماً كبيراً ولم يعد بالإمكان في عصرنا هذا العول والارتكاز على تلك النتائج التي استخلصوها وتوصلوا إليها في ذلك الوقت. وبعبارة أخرى، لا يمكن لنا في الوقت الحاضر الاعتماد على تلك النتائج وعلى ما ذكروه في كتبهم القديمة إذ أن تلك الكتب كانت ملائمة تماماً لتلك الفترة الزمنية أما الآن فإنها تعتبر قديمة وقليلة الأهمية.

هنا وبدون أي تحيز أو تعصب فكري أو عقائدي أود أن أذكر بأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المستثنى من تلك القاعدة، الكتاب الوحيد الذي لا يمكن الاستغناء عنه في أية فترة زمنية وسيبقى هكذا إلى يوم قيام الساعة، وأسباب الاستثناء واضحة وجليّة ولا بأس من ذكر بعض تلك الأسباب:

١ - القرآن الكريم كتاب جامع وشامل إذ أنه يشتمل على كل جوانب الحياة

وكل ما تحتاج إليه البشرية إلى يوم الدين، حتى أن العلم الحديث أثبت صحة أمور كثيرة وردت فيه.

٢ ـ مؤلف هذا الكتاب العظيم ـ القرآن ـ ليس إنساناً عادياً، إنّه الله تعالى عالم الغيب والشهادة وخالق السموات والأرض وما بينهما وهو الوحيد الذي عنده علم الأمور جميعاً. ذلك المؤلف الجبّار الذي أراد لهذا الكتاب الفريد الخلود.

٣ ـ على مدار السنين لم ولا ولن يتمكن أحد من التلاعب أو التحريف في هذا الكتاب الرائع. قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2]. هذه هي مشيئته عز وجل ولا يمكن لأحد من البشر مضارعتها أو تحدّيها.

في عصرنا هذا ولكي نتمكن من مسك زمام الأمور ثانية ونعتلي صهوة الحصان ونتقدم على كل الذين سبقونا فإننا نحتاج إلى علماء أجلاء وفلاسفة مثل الذين سبقونا، إلا أن الحقيقة المرّة تقول أنه لا يوجد في الوقت الحالي ما يدل على وجود ذلك. نعم لا يوجد. أقلّ ما يمكن أن نقوم به حالياً هو التعرف على ما عند هؤلاء في الغرب من دراسات وعلوم نافعة، تلك التي مكنتهم من وصف أنفسهم بالعالم الأول وجرّأتهم على وصفنا بالعالم الثالث. دعونا ندرسها ونأخذ منها السمين المفيد ونترك الغث. نعم، فالحياة في الغرب وبالرغم من كل ذلك التقدم والرقيّ نجد فيها مساوىء كثيرة لا تتلائم وطبيعة مجتمعنا الشرقي الذي له سمته الخاصة به.

تعال معي عزيزي القارىء لننظر سوية إلى جانب مهم جداً من جوانب حياتنا، جانب نعيش معه ويعيش معنا في كل لحظة من لحظات حياتنا، جانب له أكبر الأثر علينا وعلى أنفسنا، الجانب الذي يلقي الضوء على الاختلافات

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

الهائلة والجذرية في سايكولوجية أهم عنصرين في تكوين المجتمع ألا وهما الرجل والمرأة.

تلك الاختلافات التي لم يكن لنا علم بها في السابق، والتي هي أسّ المشاكل اليومية التي تحصل بين الرجل والمرأة والتي تؤثر تأثيراً بالغاً على تصرفاتهما وعلى حالاتهما النفسية.

دعونا نتعرف على أنفسنا وعلى طبيعة الجنس الآخر كي نتمكن من إشباع رغباتنا ورغبات الجنس الآخر، ونحيا حياة صحية ملؤها السعادة والهناء وراحة البال والضمير ونكوّن عائلة سعيدة ومجتمع صالح أملاً في إفراز جيل جديد يخرج منه علماء وفلاسفة أجلاء يتمكنون في المستقبل من خدمة أمتهم العربية ومساعدتها على التقدم والرقي ومواكبة الغرب أو حتى التقدم عليه ودفعه إلى الخلف.

بعد انتهائي من كتابي السابق «عالمان مختلفان، الرجل والمرأة» وبعد التمعن في ردود الفعل الإيجابية التي وصلتني من بعض القراء الكرام - وهنا أود ذكر تعليق أحد القضاة الشرعيين حيث قال: لو قرأ الناس هذا الكتاب لقلّت نسبة الطلاق ٥٠٪ -، حمدت الله تعالى كثيراً وجلست مع نفسي وتأملت هذا الموضوع بصورة دقيقة وسألت نفسي: لا شك أن الكتاب السابق كتاب ممتاز ويعتبر الأول من نوعه في العالم العربي وقد غطى جوانباً مهمة جداً وأساسية، وإنه ساعد الكثير من الرجال والنساء على حد سواء من التعرف على أنفسهم وأثّر في حياتهم اليومية تأثيراً إيجابياً بالغاً، ساعدهم وجلب انتباههم إلى أمور بالغة الأهمية لم يعرفوها ولم ينتبهوا إليها في السابق، تلك الأمور التي لها علاقة مباشرة في معظم المشاكل اليومية التي تحصل بين الرجل والمرأة.

هنا سألت نفسي: هل إن الكتاب السابق يعتبر كافياً؟ هل إنه ألمّ بجميع جوانب الحياة؟ هل هناك جوانب أخرى مهمة وحساسة نحتاج إليها وإلى التعامل معها؟ هل تكتمل الصورة المرجوة من خلال ذلك الكتاب فقط؟.

وبعد أن استعرضت في مخيلتي الجوانب العديدة التي تؤثر على العلاقة بين الرجل والمرأة وبالتالي على حياتهم الأسرية وعلى المجتمع بصورة عامة، وبعد أن استعرضت الدراسات والأبحاث العالمية التي قام بها العلماء والمختصون في الغرب أيقنت أن المهمة التي أنشدها، ألا وهي خلق سعادة حقيقية بين الرجل والمرأة وبالتالي خلق جو عام يسوده الود والتفاهم لا يمكن تحقيقها من خلال الكتاب السابق فقط.

شعرت أن الكتاب السابق لا يعتبر كافياً حيث أن هناك جوانباً أساسية أخرى لم يتم التطرق إليها، جوانب نحتاج إلى الانتباه إليها وإلى معرفتها وتطبيقها في حياتنا اليومية. نعم، هناك جوانب مهمة جداً يجدر بنا معرفتها والانتباه إليها إذ بدونها لا يمكن أن نلمّ بالصورة الكاملة التي نأملها فعالم الرجال مليء بالأسرار الطبيعية وعلى كل امرأة أن تكون على بينة من ذلك، وكذلك فعالم النساء مليء أيضاً بالأسرار الطبيعية وعلى كل رجل أن يكون على بينة من ذلك أيضاً، ولكي نؤسس علاقة سليمة بين الرجل والمرأة ونعيش حياة هانئة وننعم بالسعادة ونكون عائلة سعيدة ومجتمع فاضل، علينا أن نتعرف على أنفسنا وعلى بعضنا البعض معرفة جيدة.

شعرت أن كتابي السابق «عالمان مختلفان، الرجل والمرأة» كان بمثابة تنبيه للرجال والنساء ومحاولة جلب انتباههم إلى تلك الاختلافات السايكولوجية الطبيعية التي تؤثر علينا وعلى تصرفاتنا والتي تسبب معظم المشاكل في حياتنا اليومية.

نعم، كان لا بد من جلب انتباه الجميع إلى ذلك الجانب الحيوي المهم، ولكي أقنع القارىء الكريم بذلك كان لا بد من إعطائه فكرة عامة شاملة عن تلك الاختلافات السايكولوجية التي ذكرتها بين الجنسين مع أمثلة عملية من واقع حياتنا اليومية.

كان الكتاب السابق عبارة عن مدخل إلى هذا المجال الواسع والذي تناوله

العلماء والمختصون في الغرب بصورة مسهبة وقاموا بتأليف العديد من الكتب العلمية المهمة.

في كتابنا هذا سنحاول التعمق في دراساتنا للاختلافات السايكولوجية الطبيعية بين كل من الرجل والمرأة ونتطرق إلى الجوانب التي ذكرناها في الكتاب السابق بصورة أكثر تفصيلاً وكذلك إلى جوانب أخرى جديدة لم يتم تناولها مسبقاً، جوانب في منتهى الحساسية والأهمية ولها تأثير كبير على سعادة أو شقاء كل من الرجل والمرأة وبالتالي على الأسرة وعلى المجتمع بصورة عامة.

تصور عزيزي القارىء مدى الأثر الكبير على العلاقة بين الرجل والمرأة وعلى الأسر التي تكوّن المجتمع لو أن كل منهما فهم الحقيقة وتقبلها وعرف كيفية التعامل معها. تصور سعادة كل منهما وبالتالي سعادة المجتمع؟، تصور مدى تأثير ذلك على نسبة حالات الطلاق؟ تصور ما الذي سيحصل لطابور حالات الطلاق في المحاكم الشرعية قبل وبعد ذلك الفهم؟ تصور حالة الفرد النفسية في مجال العمل وتأثير ذلك على الإنتاجية الوطنية والقومية؟.

نسأل الله تعالى أن يعمّ علينا جميعاً بنعمه الكثيرة وأن يجعلنا من الذين يقرأون ويستفيدون. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المؤلّـف

د. طارق كمال النعيمي

تمهيـــد

أي علاقة سليمة بين الرجل والمرأة لا تتولد من فراغ، إنها تتطلب جهداً كبيراً من قبل الطرفين، الرجل والمرأة.

إلا أننا بنفس الوقت لا نقول أن ذلك الجهد الجبار يجب أن يكون مستمراً وبدون انقطاع، أبداً فلا بد من وجود فترة راحة واسترخاء.

النساء وبطبيعتهن الأنثوية يعرفن جيداً أن العلاقة الجيدة لا بد وأن تكون نتيجة جهد مبذول. على الطرف الآخر فإن الرجال وبسبب طبيعتهم الرجولية يختلفون عن النساء في هذا المجال فشعار الرجل هو (في مجال العمل على الرجل أن يبذل جهوداً كبيرة لإنجاز ذلك العمل، أما عند عودته للبيت فإن ذلك الوقت هو وقت الراحة والاسترخاء) هذا ما يريح الرجل.

كانت الحياة ولآلاف السنين على شاكلة واحدة، يخرج الرجل من البيت صباح كل يوم بحثاً عن صيد، يجلس بصبر وترقب وعند رؤيته للحيوان يهبّ من مخدعه ويجري وراء تلك الفريسة محاولاً اصطيادها، وعندما يتم ذلك يعود للبيت ليرتاح بينما تقوم المرأة بتنظيف الفريسة وطبخها لإعداد وجبة غذاء للعائلة.

كان هذا الطابع هو الطابع المتّبع لمدة طويلة من السنين، يقوم الرجل بتوفير متطلبات العائلة بينما تقوم المرأة بتدبير المنزل وإنجاب الأطفال والاهتمام بتربيتهم. أما اليوم فقد تغيرت الحياة ولم يعد العمل (الصيد) من اختصاص الرجل فقط، فالمرأة أيضاً تخرج للعمل (الصيد) وتقضي ساعات

طويلة في الخارج تبذل خلالها جهوداً كبيرة كما يفعل الرجل وبعدها تعود للبيت. وعند عودة الرجل والمرأة من العمل فمن الطبيعي فإن هناك أموراً كثيرة جداً في انتظارهما تحتاج إلى التعامل معها وإنجازها.

كانت المرأة في السابق تحتاج الرجل لتوفير الطعام والملبس لها ولأفراد الأسرة، أما في عصرنا هذا فالمرأة تتمكن من العمل والحصول على المال وبذلك تستطيع توفير الطعام والملبس لها ولأفراد الأسرة جميعاً. إنها لم تعد بحاجة إلى الرجل في هذا المجال.

هل هذا يعني أن المرأة استغنت عن خدمات الرجل ولم تعد بحاجة إليه كلياً؟ أبداً، فحاجة المرأة إلى الرجل مستمرة ولن تتوقف أبداً. والسؤال هو ما هي تلك الحاجة؟ والجواب على ذلك هو احتياجها العاطفي الذي لا يمكن أن يقوم به أي مخلوق آخر سوى الرجل. لا بد من اقتران المرأة بالرجل والعيش معه تحت سقف واحد.

في عصرنا هذا تلعب المادة دوراً كبيراً في خلق المشاكل بين الرجل والمرأة، إلا أنه وبالرغم من اعتقادنا أحياناً بأن المادة هي السبب وراء تلك المشاكل إلا أن السبب الحقيقي هو فقدان التفاهم بين الرجل والمرأة وليست المادة. علاقة الرجل والمرأة في عصرنا هذا تختلف عما كانت عليه قبل (١٠٠) عام أو حتى (٥٠) عاماً، فالعلاقة لم تعد مبنية على توفير المأكل والملبس فقط، أبداً إنها الآن مبنية على توفير الاحتياجات العاطفية بالنسبة لكل من الرجل والمرأة. ولمعلومات الرجل والمرأة نقول أن تلك الاحتياجات قد تغيرت الآن ولم تعد على ما كانت عليه في السابق، هذا ما سنكتشفه من خلال قراءتنا للفصول القادمة.

الحب الحقيقي بالنسبة للرجل هو عدم محاولة التغيير، فعندما يعثر الرجل على المرأة المناسبة وقد يحدث ذلك بعد بحث طويل فإنه يفسح المجال لقلبه بالإنفتاح وحب تلك المرأة وتقبلها على ما هي عليه. هذا هو أسلوب الرجل

وطبعاً فإنه يتوقع نفس التصرف من قبل المرأة، أن تقبله على ما هو عليه وأن لا تحاول أن تغير فيه، بينما الحقيقة بالنسبة للمرأة عكس ذلك فالمرأة عند اختيارها للرجل الذي سيشاركها حياتها فإنها تبحث عن الرجل الذي يمكن أن يشعرها بالسعادة وكذلك لديه الاستعداد للتغير مستقبلاً. نعم هذه هي طبيعة المرأة.

لا شك أن هناك أوقات عصيبة في الحياة يمر بها كل من الرجل والمرأة، أوقات يشعر فيها الإنسان بالضجر والملل وقد يسأل نفسه (لم كل هذه المشاكل؟ لم يحصل كل ذلك؟ هل هناك خللاً في هذه العلاقة؟ ما هو وهل يمكن إصلاحه؟ هل إني اقترنت بإنسان غير ملائم ولا يمكن العيش معه/ معها؟ هل وهل وهل؟؟.

ولكي نهدأ ونريح أعصابنا علينا أن نتذكر حقيقة علمية ثابتة، تلك الحقيقة التي تقول بأن لكل من الرجل والمرأة سايكولوجية تختلف عن الآخر، سايكولوجية تؤثر تأثيراً فعالاً على إسلوب فهمهما وعلى أفعالهما وردود أفعالهما. اختلاف يجعلهما يظهران وكأنهما لا ينتميان إلى عالم واحد، بل إنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين.

هذه حقيقة ثابتة وعلينا جميعاً أن نعرفها ونتقبلها على وضعها. عالم المرأة يختلف عن عالم الرجل وكل عالم مليء بالأسرار. ولكي نرتاح ونتمكن من العيش بهدوء وننعم بالسعادة فعلينا أن نتعرف على بعضنا البعض وأن نتعرف على تلك الأسرار المبهمة بالنسبة للغالبية العظمى من الرجال والنساء.

ولكي نقرّب الصورة إلى أذهان القارىء الكريم، دعونا ننظر إلى الصورة التالية، فكم من مرة تكون الزوجة مع زوجها في السيارة ذاهبين إلى مكان ما، وأثناء ذلك يضلّ الزوج الطريق ويبقى يلف ويدور في نفس المنطقة لفترة محاولاً العثور على العنوان. يستمر في ذلك ولا يتوقف عن المحاولة، يبذل كل ما بوسعه للاهتداء إلى العنوان الصحيح وبدون أية مساعدة خارجية؟ كم مرة حصل

ذلك؟ اليس المنطق والعقل يقولان أن أفضل ما يمكن للرجل فعله هو الكف عن المحاولة. إيقاف السيارة وسؤال أحد المارة أملاً في الاهتداء؟ ألا يوفر ذلك عليه الكثير من العناء والوقت؟!. لا شك أن الجواب هو (نعم)، إذاً لم لا يقوم الرجل بذلك؟ ما الذي دهاه؟ هل إنه يحب العناد ووجع الرأس وإثارة الأعصاب ومضيعة الوقت والبنزين واستهلاك السيارة؟! هل هذه طبيعة الرجل أم أن مستوى ذكاءه ليس بالمستوى المطلوب؟!.

الحقيقة هي أن طبيعة الرجل تختلف عن طبيعة المرأة في التفكير والتصرف وهذه الطبيعة هي التي تدفعه إلى الاستمرار في المحاولة وعدم السؤال. وليس هناك علاقة لمستوى الذكاء. بالنسبة للمرأة فإن إيقاف السيارة وسؤال أحد المارة أمراً يسيراً وليس فيه أيّ إحراج، أما بالنسبة للرجل فإنها تعتبر فشلاً في إحدى مهام الحياة وخيبة أمل كبيرة. فحسب تفكير الرجل الفطري فإن الرجل مخلوق أصلاً لمجابهة الصعاب وحل المشاكل لذلك فإنه لا يحب أن يتصرف بشكل يوحي على عدم المقدرة. كيف يمكن له أن يسأل وهو الذي عنده كل الإجابات؟! كيف يمكن ذلك؟ إضافة إلى ذلك فسؤال الرجل شخصاً آخراً ليس معناه الفشل فقط، بل إنه يضع ذلك الإنسان الآخر في مرتبة أعلى من مرتبته (كما سنرى في الفصول القادمة فإن المجتمع بالنسبة لتفكير الرجل مجتمعاً هرمياً ولكي يبقى الرجل في أعلى الهرم فعليه النجاح في كل أمور الحياة) لذلك فإن طبيعة الرجل في مثل هذه المواقف هي المحاولة والاستمرار فيها ولا يمكن له أن يستمع إلى نصيحة المرأة التي تشير عليه بإيقاف السيارة وسؤال شخصاً آخراً.

وبعد أن عرفنا ذلك عن الرجل هل تتصور المرأة أن اقتراحها بإيقاف الرجل السيارة وسؤال أحد المارة أمراً مستساغاً من قبل الرجل؟! هل يعتبر ذلك فكرة جيدة؟ وإذا قامت المرأة بذلك فما هو توقعها لتصرف الرجل وردة فعله؟ يا ساتر يا رب.

وهناك صورة أخرى يمكن من خلالها إلقاء الضوء على الاختلاف في سايكولوجية الرجل والمرأة، فكم من مرة تحاول المرأة الكلام مع الرجل وتبدأ بذكر بعض المشاكل فما الذي يحصل؟ يهب الرجل لنجدة المرأة ويبدأ بإلقاء محاضرة طويلة وعريضة تتخللها مواعظ وحكم وأفضل السبل لحل المشاكل التي تتحدث عنها المرأة. السؤال هنا هو هل تحدث المرأة عن بعض المشاكل يعني أنها عاجزة عن حل المشاكل وتحتاج إلى عبقرية الرجل ومواعظه؟ هل هذا ما تحتاجه المرأة من الرجل في ذلك الوقت أم شيئاً آخراً؟! وهل إن طرح الرجل الحل المناسب يريح المرأة ويهدأ من روعها؟!.

بالنسبة إلى تفكير الرجل وأسلوبه في الحياة فإن شكوى المرأة معناه إنها تبحث عن حل وبما أنه صاحب الحلول وإنه أمام المرأة التي يحبها، فلن يتأخر في إيجاد الحل ولن يبخل عليها بذلك. لا يعلم الرجل أن إجابته تلك تزيد من تعاسة المرأة ولا تسعدها. لا يعلم أن كل ما تطلبه المرأة في تلك اللحظات من الرجل هو الاستماع فقط، لا يعلم أن كلام المرأة عن المشاكل هو أفضل الطرق التي تحاول المرأة من خلالها التنفيس عن خاطرها والشعور بالراحة. لا يعلم الرجل أن استماعه للمرأة فقط وبدون إيجاد حلولاً هو أكبر مساندة معنوية للمرأة. لا يعلم الرجل أن المرأة وبعد أن تتكلم عن مشاكلها ستشعر بصورة تلقائية بالراحة وتعود إلى طبيعتها السمحة، لا يعلم أن طبيعة المرأة هي (لكي تشعر المرأة بالراحة فإنها تحب أن تتكلم عن المشاكل مع شخص آخر، شخص يستمع لها ولا يقوم بتقديم أي حل، شخص مستمع) هذه هي طبيعة المرأة في الترفيه عن خاطرها عندما تكون منزعجة. لا يعلم الرجل أن المرأة في تلك اللحظة لا تبحث عن أية حلول، لا تبحث عن أي حل وتكره أي حل يطرحه الرجل، واستمرار الرجل في طرحه للحلول يزيد من تعاسة المرأة ويزيد من ابتعادها عنه.

المصيبة أن الحقيقة لا تكمن في الإختلاف السايكولوجي بين الرجل والمرأة، إنها تكمن في عدم معرفتنا لذلك الاختلاف. لا نعلم لماذا يتصرف

الرجل بشكل يختلف عن المرأة، ولماذا يفهم كل منهما الأمور بشكل مختلف، لماذا يتوقف الرجل فجأة عن الكلام مع المرأة التي يحبها ويحاول الابتعاد عنها والاختلاء بنفسه؟ كيف يمكن للمرأة المسكينة أن تفهم مثل هذا التصرف على أنه أمر طبيعي وهو غير طبيعي بالنسبة لتفكيرها؟ فحسب طبيعة كونها من عالم النساء فإن مثل هذا التصرف يعتبر تصرفاً شاذاً وله دلائل سيئة. فبالنسبة لعالم المرأة فإن الحوار والكلام المستمر والدائم بين الأشخاص دلالة على الحب والود، وتوقف الإنسان عن ذلك معناه إما أن هناك مشكلة ما بين هؤلاء الأشخاص أو إنهما يحاولان تجنب مشكلة متوقعة!.

لنتصور حالة المرأة النفسية عندما ترى الرجل وبدون أي سبب ظاهري مبرر يلتزم جانب الصمت والعزلة؟ ما الذي سيدور بخلدها في ذلك الوقت؟.

وهنا نقول أن الرجل المسكين لا يدري ما الذي يدور بخلد المرأة الحائرة نتيجة تصرفه هذا والسبب هو أن الرجل يعلم أن الأمور بينه وبين تلك المرأة على خير ما يرام وكل ما في الأمر هو أنه وبسبب طبيعته الرجولية يحتاج من وقت لآخر للاسترخاء وعدم التحدث إلى أي شخص آخر، يحتاج إلى وقت يقضيه مع نفسه (سنرى تفاصيل ذلك في الفصل القادم).

نعم، يقوم الرجل بذلك من فترة لأخرى لأسباب عديدة مثل إعادة بعض الحسابات أو تقييم الموقف الحالي أو محاولة إيجاد حل لمشكلة ما (وكما ذكرنا في كتابنا السابق فإن الرجل يتعامل مع مشاكله بشكل صامت، أما المرأة فتتعامل مع المشاكل وتفكر فيها بصوت مسموع أي أنها تفكر بصوت مسموع وتتلفظ بما يجول في خاطرها. أما الرجل فهو على العكس من ذلك إذ أنه يدخل المعلومات إلى ذهنه ويبدأ بالتحليل وإيجاد الحل وكل ذلك يكون بشكل صامت).

تستاء المرأة وتغضب أثناء صمت الرجل وانسحابه، المصيبة أن الرجل بعد أن ينتهي من حالته هذه التي تعتبر شاذة بالنسبة للمرأة يحاول العودة إلى

المرأة والتقرب منها، لا يعلم الرجل بأن المرأة غاضبة والسبب بالنسبة له هو أنه حسب تفكيره لم يقم بأي خطأ. نعم بالنسبة له فإن ذلك الصمت والانسحاب أمر طبيعي ويتوقع من المرأة أن تكون على بينة من ذلك! وعندما يلاحظ الرجل غضب المرأة يستغرب لذلك التصرف، ما الذي دهاها وما الذي حصل؟! تحاول المرأة وأيضاً من منطلق سايكولوجيتها وطريقة تفكيرها التي تختلف عن طريقة الرجل الابتعاد عن ذلك الرجل الذي أغضبها، أغضبها بإبتعاده الذي لا مبرر له. وهنا نرى الرجل يحتار أيضاً لتصرف المرأة ويغضب عليها، وهنا تحصل مشكلة جديدة لا مبرر لها ويحل الخصام والشجار بينهما بدلاً من الود والهناء الذي كان موجوداً قبل قيام الرجل بفعلته الشنيعة ـ حسب تصور المرأة وطريقة تفكيرها ـ.

عزيزي القارىء الكريم، أفضل ما يمكن أن نفعله لكي نتجنب المشاكل هو أن نوقن بأننا رجالاً ونساء لا ننتمي إلى عالم واحد (طبيعتان مختلفتان) وعلينا أن نذكر أنفسنا دائماً بذلك الاختلاف. نعم طبائعنا تختلف وعلينا الاعتراف بذلك وهذا ما سيخفف علينا الحيرة والغضب والاستياء والمشاكل وإذا حصل أن نسى أحدنا ذلك فالأجدر بنا أن نذكّر بعضنا البعض وإذا أردنا فعلاً التغلب على تلك المشاكل التي تحصل بيننا والتنعم بحياة هانئة سعيدة وخالية من المشاكل التي لا مبرر لها، تلك المشاكل التي ظهرت وأثّرت على حياتنا تأثيراً سلبياً فعلينا التعرف على أنفسنا وعلى بعضنا البعض تعرفاً واسعاً، تعرفاً يساعدنا على فهم حقيقة أسلوب الشخص المقابل في التفكير والفهم لمجريات الأحداث وعلى ما يدفعه/ يدفعها إلى التصرف بذلك الشكل الذي لا نفهمه ولا نفهم سببه.

هذا ما سنحاول توضيحه في هذا الكتاب والذي يعتبر امتداداً لكتابنا السابق الذي أسميناه (عالمان مختلفان، الرجل والمرأة) وبالله التوفيق.

الفصل الأول

اختلافات سايكولوجية عامة

هل هناك اختلافات بين الرجل والمرأة

خلق الله عز وجل هذا الكون الفسيح والمترامي الأطراف والذي لا أحد يعرف بالضبط بدايته ولا نهايته في ستة أيام. فقد قال سبحانه وتعالى في سورة الفرقان: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[1]. وهو عز وجل المسيطر والمهيمن على كل ما خلق ولا منازع له في ذلك وأن كل شيء يسير بأمره وحده، فهو عز من قائل ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[2].

ومن جملة مخلوقاته الأرض التي نعيش عليها، والتي أوجد عليها مخلوقات وكائنات كثيرة جداً منها ما يعيش على سطحها ومنها ما يعيش في البحر، ومن هذه المخلوقات الإنسان، وقد وفر الله العلي القدير سبل العيش والاستمرار لجميع هذه المخلوقات. فقد قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]. ومن أجل الاستمرار وديمومة الحياة خلق الله تعالى الذكر والأنثى

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٦.

وجعل اتصالهم ببعض الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك الغرض. هذه هي مشيئته عز وجل.

ولم يشأ العلي القدير أن يجعل الإنسان كغيره من المخلوقات فيدع غرائزه الجنسية تنطلق دون وعي، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له، بل وضع النظام الملائم لسيادته، والذي من شأنه أن يحفظ شرفه ويصون كرامته. فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً مبنياً على رضاهما، وقد دعى الإسلام إلى الزواج ورغّب فيه وسهّله ووضع الأحكام المنظمة له، ولا شك أن الزواج هو الصورة المثلى للعلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة. وقد حثنا الله تعالى على الزواج في مواضع كثيرة جداً في كتابه المحفوظ، فذكر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[1]، وكذلك ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[2] صدق الله العظيم.

وكذلك حثّنا رسوله الأمين محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وسلامه على الزواج، وهناك أحاديث نبوية شريفة كثيرة جداً تؤيد ذلك منها «**أربع من سنن المرسلين: الحناء والتعطر والسواك والنكاح**» ولقوله: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإن له وجاء**»[3].

والإسلام ذلك الدين العظيم، دين الله، دين الحق والعدل، والذي شرّع الزواج وحث عليه وجعل له ضوابط وأحكام، شرّع أيضاً الطلاق وجعل له أيضاً ضوابط وأحكام. والطلاق هو الحل الأمثل لإنهاء العلاقة بين الرجل والمرأة وذلك عندما يشعران إنهما غير متفاهيمن ولا يمكن لهما الاستمرار في حياتهما الزوجية.

وكما نعلم، فإن الإسلام كرّه في الطلاق وجعله بغيضاً قال رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (ج ٤/١٢٨) في كتاب النكاح.

(أبغض الحلال إلى الله الطلاق)[1] وحث المسلمين على بذل الجهود الحثيثة وجميع ما في وسعهم لأجل الإبقاء على الرابطة الزوجية.

إلا أنه ومع كل ذلك فإننا نرى ظاهرة الطلاق متفشية ومنتشرة في كافة أنحاء العالم، وهنا أود أن أذكر أن نسبة الطلاق في الدول الأوربية عالية جداً، وتدل أحدث الدراسات على أن نسبة الطلاق في المجتمع الأمريكي هي ٦٧٪ هذا بالنسبة للزواج الأول، أما نسبة الطلاق بالنسبة للزواج الثاني فهي أعلى من ذلك. ظاهرة الطلاق هذه لم تكن وليدة العصر الحاضر، بل إنها موجودة منذ القدم وإن أسبابها متعددة، إلا إن أهم الأسباب هو (الخلافات الحادة بين الرجل والمرأة واستحالة التفاهم بينهما). فمن منا لم يلاحظ هذه الظاهرة؟ إنها شائعة ومنتشرة في كل المجتمعات المتطورة والمتأخرة، الشرقية والغربية، وكذلك فإنها ليست محصورة في طبقة معينة، فنراها في الطبقة الغنية والمتوسطة والفقيرة.

السؤال المحير والذي يفرض نفسه علينا هو: (لماذا وكيف تحصل كل هذه المشاكل والتي تصل إلى درجة يصعب عندها التفاهم واستمرار تلك الرابطة المقدسة، رابطة الزواج؟).

هل نتزوج لكي نطلق؟ هل إننا نهوى ذلك؟ هل أن الطلاق ظاهرة اجتماعية صحية؟ الإجابة على كل تلك الأسئلة هي النفي، إذاً لماذا يحصل كل ذلك؟.

هذا ما سنحاول أن نوضح من خلال كتابنا هذا حيث سنلقي الضوء على العلاقة بين الرجل والمرأة وعلى أهم وأعقد المشاكل التي تعتري الاثنان وتعكّر عليهما سعادتهما وتنغّص عليهما عيشهما.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب كراهية الطلاق (ج ٢/ ٢٥٥) رقم (٢١٧٨) وابن ماجة (ج ١/ ٦٥٠) رقم (٢٠١٨).

اختلافات أساسية بين الرجل والمرأة

أسهل طريقة للتعرف على الاختلافات بين الرجل والمرأة هي أن نبدأ بالنظر إلى الاختلافات العضوية بينهما، فمن الواضح جداً أن الاختلافات الأساسية هي في الشكل العام، اختلافات في الأعضاء التناسلية. إلا أن الدراسات والأبحاث العلمية تشير إلى أن هناك اختلافات عضوية كثيرة، ولنأخذ على سبيل المثال الجلد، فجلد الرجل أثخن من جلد المرأة ولهذا السبب نرى ظهور التجاعيد على جسد المرأة بشكل أسرع وأكبر مما عند الرجل، اختلاف آخر هو أن الحبال الصوتية عند النساء أقصر مما عند الرجل وهذا هو السبب في كون صوت الرجل أكثر خشونة وعمقاً من صوت المرأة، واختلاف آخر في الدم، فدم الرجل أثخن من دم المرأة ونسبة الكريات الحمر في دم الرجل أكثر من نسبتها في دم المرأة بحوالي ٢٠٪، وهذا يعني أن الرجال يحصلون على نسبة أوكسجين أكثر من النساء وكذلك تكون الطاقة عندهم أكثر مما عند النساء. كذلك فالرجال يتنفسون بصورة أعمق من النساء، بينما يكون عدد مرات التنفس عند النساء أكبر مما عند الرجال.

اختلاف آخر هو تركيبة العظام فالعظام عند الرجل أكبر حجماً من العظام عند المرأة، وعظام المرأة ليست فقط أصغر من عظام الرجل بل إنها تختلف أيضاً في التركيب وطريقة مشي المرأة التي يراها الرجال غريبة وذلك لاختلافها عن طريقتهم ما هي إلاّ نتيجة لذلك الاختلاف في التركيب، فخطى المرأة أقصر من خطى الرجل ولذلك على المرأة زيادة عدد خطاها للحاق بالرجل، وكذلك منطقة الحوض عند المرأة أعرض مما عند الرجل وهذا التصميم الإلهي هو أفضل حماية لحمل الجنين.

اختلاف آخر وهو أن نسبة العضلات في جسم الرجل أكثر من الشحوم، وهذا التركيب يسهل على الرجل عملية التخلص من الوزن الزائد بشكل أسرع من المرأة، وعلى الجانب الآخر فإننا نرى عند المرأة وجود طبقة شحمية تحت

الجلد مباشرة، وهذه الطبقة الشحمية تساعد المرأة على البقاء أكثر دفئاً من الرجل في فصل الشتاء وأكثر برودة في فصل الصيف. كذلك فإن هذه الطبقة تساعد المرأة أيضاً على الاحتفاظ بالطاقة في داخل جسمها أكثر من الرجل.

لا شك أن الاختلافات العضوية مهمة إلا أن الاختلافات السايكولوجية هي التي توضح لنا طريقة التفكير عند كل من الرجل والمرأة وذلك ما يؤثر على الأقوال والأفعال وردود الأفعال وعلى العلاقة بينهما.

اختلافات سايكولوجية عامة

الاختلافات بين الرجل والمرأة ليست عضوية فقط، بل إنها سايكولوجية أيضاً. فعلى سبيل المثال فالملاحظ عالمياً إذا قارنا الرجال والنساء نرى قابلية الحدس عند النساء أعلى مما عند الرجال. كذلك طبيعة النساء هي تقوية أواصر العلاقة وتطويرها بشكل أكبر مما عند الرجال. نقطة أخرى وهي أن ردود أفعال النساء تختلف عن ردود أفعال الرجال عند التعامل مع الجهد والتعب وحتى طبيعة التشكي والتذمر أثناء العلاقة بين الرجل والمرأة فهي تختلف، فشكاوى المرأة تختلف عن طبيعة شكاوى الرجل.

هناك من يقترح بأن هذه الاختلافات هي عبارة عن اختلافات تولدت بسبب الاختلاف في أسلوب التربية والمبني على الاختلاف الجنسي وهي مصقولة ومترسخة فينا منذ الطفولة، هذا الاقتراح سخيف ولا تعززه أية حقائق علمية.

لا شك أن الاختلافات في الصغر وما يتعلمه الولد والبنت من قِبَل الوالدين والمجتمع فيما يختص بالولد والبنت موجود إلا أنه ليس السبب الرئيسي في الاختلافات بين الرجل والمرأة.

الاختلافات الخلقية بين الرجل والمرأة تتقرر فسيولوجياً وذلك عن طريق الاختلافات في نظام (DNA) داخل جسم الإنسان، وعندما يكبر الطفل يتأثر أيضاً بالعائلة وإسلوب التربية وبالمجتمع الذي يحيطه.

عندما نكتشف الاختلافات بين الرجل والمرأة فإنه يصبح من السخافة أن نقول أن كل ذكر يحمل صفة الرجولة فقط، وكل أنثى تحمل صفة الأنوثة فقط. فالرجال ليسوا سواء وكذلك النساء في الحياة العملية، الرجل عنده الكثير من الصفات التي تحمل صفة الذكورة والأنوثة، والمرأة أيضاً في داخلها عندها الكثير من صفات الأنوثة والذكورة. وهنا نقول بأن التوازن مطلوب وعدم التوازن هو الذي يخلق معظم المشاكل بيننا.

فالرجل الذي تطغى على تصرفاته القوى الرجولية بشكل أكبر من قوى الأنوثة فإن ذلك الرجل يظهر بعض الأحيان بشكل إنسان أناني يركز على مصالحه فقط ولا يهتم إلا بنفسه، بينما الحقيقة هي أن ذلك الرجل في تلك اللحظة لا يتمكن من الإتصال بتلك الصفات الأنثوية الموجودة داخله. تلك الصفات التي تدفع بالإنسان إلى الإنتباه والإهتمام بالآخرين.

وبالمقابل فإن المرأة التي تتمكن بسهولة من الإتصال بالجانب الأنثوي داخلها تكون كثيرة الاهتمام بالآخرين، أكثر من اهتمامها بنفسها. وعندما تشعر هذه المرأة بعدم حصولها على ما ترغب، نراها تتوسع أكثر، تصبح أكثر تجاوباً مع حاجات الآخرين وتهمل نفسها، تضحي بنفسها وهي غير شاعرة بذلك.

عندما تشعر المرأة بعض الأحيان بالرغبة في الحصول على شيء ما نراها غير قادرة على الإفصاح عن ذلك وغير قادرة على مشاركة تلك الرغبات والسبب إنها غير منتبهة إلى تلك الاحتياجات.

مثلما يبدو الرجل أثناء الجهد بشكل أناني غير مهتم بالآخرين والسبب كون الرجل يفكر بشكل تركيزي، كذلك فالمرأة تبدو أثناء الجهد وكأنها عديمة الاستقبال أو غير قادرة على استلام وقبول مساعدة الآخرين. ولكي نتغلب على هذه الحالات المتطرفة فعلى الرجل أن يتعرف على تلك الصفتين في داخله ومن ثم تطويرها ومحاولة التوازن بينهما، وكذلك المرأة عليها مثلما على الرجل.

وإذا تمكنا من التوفيق بين هذه القوى في داخلنا فإننا لن نحسّن فقط

علاقاتنا ببعضنا البعض، بل إن ذلك سيساعدنا على أن نكون مبدعين وخلاقين.

ولأجل التوصل إلى توازن جيد في قوانا الداخلية فإننا وبطبيعتنا ننجذب إلى القوى المكملة الأخرى التي في داخلنا، فالرجال ينجذبون إلى النساء والنساء ينجذبن إلى الرجال. فمن خلال حب الرجل للمرأة فإنه بذلك يطور القوى الأنثوية مع احتفاظه بصفاته الرجولية. ومن خلال حب المرأة للرجل فإنها تطور جانب الذكورة مع احتفاظها بصفاتها الأنثوية، وعندما نحب ونحترم اختلافاتنا فإننا بذلك نحصل على التوازن المطلوب.

الأسباب والحلول وأهم التوصيات:

الزواج معناه الاجتماعي هو ارتباط رجل وامرأة بعقد شرعي يتيح لهما العيش معاً تحت سقف واحد، وهذا معناه اجتماع يضم (شخصين مختلفين). هذان الشخصان ينامان ويصبحان معاً، يأكلان ويشربان، يفكران ويخططان ويتخذان قرارات مهمة لها علاقة مباشرة بمسيرة حياتهما وعلى مستقبلهما معاً. السؤال هنا: هل من السهل على هذين الشخصين، الرجل والمرأة، أن يفهم بعضهما البعض الآخر؟ هل يمكن لهما أن يتفاهما ويتفقا على أمور الحياة؟ هل إنهما يفكران بإسلوب واحد وبطريقة واحدة؟ هل ينظران إلى الحياة نظرة واحدة ويفهماها من نفس المنطلق؟ هل إنهما يتعاملان مع مجريات الأمور بنفس الطريقة؟ هل أن أهدافهما واحدة؟ هل أن تركيبتهما متشابهة؟.

لنلق نظرة على أحاديث الصادق الأمين عليه أفضل صلوات الله وسلامه، وما يقول فيهما عن المرأة، قال:

١ ـ «استوصُوا بالنِّساءِ خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإنّ أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمُهُ كسرتهُ، وإن تركتُه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[١]. ثم قال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) أخرجه البخاري في (٦/ ٣٦٣ أحاديث الأنبياء ـ باب: خلق آدم وذريته) و (٩/ ٢٥٢/ النكاح باب: المداراة مع النساء ـ باب الوصاة بالنساء.

٢ - **«إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوجٌ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»**[١].

ما أصدق قول هذا النبي الأمي عليه أفضل الصلاة والسلام.

من خلال قراءتنا للحديثين الشريفين، قد يظن البعض إن المعنى العام هو (أن المرأة عوجاء) وأن ذلك عيب فيها ولا يمكن إصلاحه، وكذلك فأن الرجل أفضل منها، وبمعنى آخر أن الإسلام لا يقيّم المرأة ولا يحترمها ولا يعطيها أية أهمية أو مكانة في المجتمع والمجتمع الإسلامي هو مجتمع الرجل فقط.

طبعاً فإن ذلك كلام فارغ ولا صحة له وهو بعيد كل البعد عن الحقيقة، فنحن نعلم أن الإسلام قد كرّم المرأة وأعزّها ورفع من أهميتها ومكانتها في المجتمع وأوصى بها خيراً. فهل هناك أكثر من أن تكون الجنة تحت قدميها وأن عقوقها من الكبائر؟! هل هناك أكثر عزة وكرامة؟.

إذا كان الأمر كذلك، فماذا أراد ذلك النبي الأمي عليه أفضل الصلوات والسلام أن يخبرنا؟ هل أن المرأة فعلاً عوجاء؟ وهل إن عواجها في رأسها؟ هل إن رأس المرأة فيه ميلان إلى الأمام أو إلى الخلف أو إلى أحد الجانبين؟ لننظر إلى نسائنا ونجيب على ذلك السؤال. بالطبع فإن الجواب هو النفي القاطع.

ما أراد رسول الله ﷺ أن يخبرنا ومنذ ذلك العهد البعيد أن هناك اختلافات جذرية بين الرجل والمرأة، فكلنا نعلم أن الرأس هو الذي يحتوي على الدماغ، وأن الدماغ هو الذي يقوم بالتفكير وتحليل الأمور ومن ثم إصدار الأوامر إلى سائر أعضاء الجسد للقيام بكل الأفعال وردود الأفعال. فكل ما يصدر عنا من أفعال وأقوال هو نتيجة لأوامر صدرت من الدماغ. فعواج المرأة الذي أشار إليه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩٠/ باب الوصية بالنساء).

ذلك النبي ﷺ والذي كان ينطق عن الوحي هو أن الرجل والمرأة يختلفان اختلافاً كبيراً في أسلوب التفكير وبالتالي فإن أفعالهما وفهمهما للأحداث ونظرتهما للحياة ومجرياتها تختلف عن بعضها البعض. نعم، هذا ما أراد عليه الصلاة والسلام أن يخبرنا، وليس هناك أي عواج في رأس المرأة.

المشكلة التي نحن بصددها الآن هو إن ذلك الاختلاف الكبير الذي أشرنا إليه يولّد خلافات حادة وقد توصف بأنها لا تطاق. وينتج عنها إما حياة تعيسة أو الطلاق البغيض الذي يدمر كل شيء.

الرجال والنساء في خلافات مستمرة مع بعضهم البعض، فغالباً ما نغضب لتصرف ما يصدر من الطرف الآخر إذ نتوقع أن تكون ردة فعل الطرف الآخر مشابهة لردة فعلنا في ذلك الموقف، نتوقع أن يحبّوا ما نحب ويشعرون كما نشعر ويتعاملون مع الأحداث مثلما نتعامل. نتوقعهم أن يكونوا نسخة طبق الأصل. فالرجل وبطريق الخطأ يظن أن تفكير المرأة وحديثها وردود فعلها تجاه الأحداث مثلما عنده بالضبط، وكذلك فإن المرأة وبطريق الخطأ أيضاً تشعر وتتوقع مثل ذلك من قبل الرجل.

نحن جميعاً ننسى أن هناك اختلافاً جوهرياً وفطرياً بين الرجال والنساء، فلا يمكن للرجل أن يفكر ويتعامل مع الأحداث مثلما تفعل المرأة وكذلك لا يمكن للمرأة أن تفكر وتتعامل مع الأحداث مثل الرجل. ونتيجة لذلك النسيان فإن علاقتنا تتوتر وتكون مليئة بالمصادمات والمشاحنات والمشاكل غير الضرورية.

ومن البديهي لو إننا ومنذ البداية أخذنا هذه الاختلافات بعين الاعتبار ووضعناها نصب أعيننا لتمكنا من فهم تصرف الطرف الآخر وسبب ذلك التصرف وعندها نتجنب ردود فعلنا الخاطئة، تلك الردود التي كانت نتيجة سوء فهم منا، والتي قد تؤدي إلى نتائج وخيمة وباهظة الثمن (ثمناً مادياً ومعنوياً).

النوايا الحسنة وحدها غير كافية:

الوقوع في الحب شيء عظيم وله شعور غامر، إنه شعور أزلي وكأن الحب سيستمر إلى الأبد، عندها وبكل براءة نظن أننا محصنين ضد كل تلك المشاكل التي مر بها والدينا من قبل وإننا سنقضي حياة ملؤها المحبة والسعادة والتي لا يعكر صفوها أي شيء.

ولكن بمرور الأيام نرى الرجال يتوقعون من النساء أن يفكرن ويتصرفن مثلهم، وكذلك بالنسبة للنساء فإنهن أيضاً يتوقعن من الرجال أن يفكروا ويتصرفوا كما لو كانوا نساء. كلا الجنسين يفكرون بذلك الأسلوب متناسين ذلك الاختلاف الكبير بينهما، تظهر المشاكل وتطفوا على السطح وتتكرر وتستعصي الأمور ونرى وبالرغم من ذلك الحب الجامح والذي كان السبب الرئيسي في اجتماعهما وزواجهما، وكذلك بالرغم من النوايا الحسنة والتي بذلها الطرفان دائماً للتغلب على الصعاب وتهوين المشاكل ومحاولة حلها، وبالرغم من كل ذلك فإننا نرى ذلك الحب العظيم يبدأ بالضعف والهزل وقد يصل إلى نقطة التلاشي والتبخر وعندها تنقلب الحياة من سعادة وهناء إلى تعاسة وشقاء. هنا تبدأ الحيرة علينا ونبدأ نسأل أنفسنا: كيف حصل كل ذلك ولماذا؟ كيف انقلبت الأمور ووصلت إلى هذه الحالة؟ بالأمس كنا سعداء وكان اجتماعنا مبعث هناء، واليوم أصبحنا أشقياء ولا نطيق بعضنا البعض؟ من كان المقصّر؟ (وهنا طبعاً يكون وضع اللوم دائماً على الطرف الآخر إذ أن كل منا يعتقد بأنه قد بذل كل جهوده وقدم كل ما عنده لأجل إسعاد الطرف الآخر والإبقاء على تلك العلاقة إلا أن الطرف الآخر هو الذي لم يقدم أي شيء ولم يحاول أن يقدّر ذلك العطاء وكان أنانياً في كل تصرفاته).

هذا المفهوم وهذا الاعتقاد خاطىء، نعم، فالحقيقة هي إن كلا الطرفين كان حريصاً جداً على الإبقاء على تلك العلاقة والرابطة الزوجية وكان يصبوا دائماً إلى إسعاد الطرف الآخر وقد قدم الكثير لأجل تحقيق ذلك، إلا أن ما

حصل هو أن ما قدمه كان بأسلوب يتماشى مع أسلوبه هو وليس أسلوب الطرف الآخر إذ أنه لم ينتبه إلى الاختلافات الغريزية والفطرية بين الأسلوبين.

كل يوم وفي كل بقاع العالم نرى ملايين من الناس يبحثون عن الشخص المناسب والذي معه أو معها يمكن لهم أن يجدوا الحب ويتمكنوا من تبادل ذلك الشعور الغامر. ملايين من الناس يتزوجون وزواجهم يكون مبنياً على الحب، فتراهم في البداية سعداء ولا تكاد الأرض تسعهم، إلا أنه وبعد فترة من الزمن (قد تطول وقد تقصر) نراهم يصلون إلى النتيجة المحزنة. تنقلب الأمور رأساً على عقب وتحل التعاسة والشقاء محل ذلك الحب وتلك العواطف الجياشة، هذا هو الطابع الجديد لحياتهم، وقد يقرر أحدهما أو كلاهما وضع حد لتلك المعاناة وذلك باللجوء إلى الطلاق.

الفرق بين دماغي الرجل والمرأة:

حقيقة علمية تقول: يصعب على دماغ الرجل التحول بسرعة من حالة التفكير والتركيز إلى حالة الإحساس والعواطف، بينما يكون ذلك في منتهى السهولة بالنسبة لدماغ المرأة.

قد يتصور البعض أن هناك فرق بين دماغي الرجل والمرأة، هذا التصور صحيح، إلا أن الفرق ليس في الحجم فقط بل يتعدى ذلك إلى التركيب والوظائف، فدماغ الرجل فيه صفة التخصص فهو يحتوي على فصين مثل دماغ المرأة إلا أن كل فص يكون مسؤولاً عن أمور معينة، فالجزء الأيمن مسؤول عن الأمور النظرية المرئية مثل الإنجاز في الألعاب الرياضية بينما يسيطر الجزء الأيسر من الدماغ على المهارات والأمور الشفوية مثل التعبير عن المشاعر والأحاسيس، الفهم والتعامل مع المشاكل. وقد اكتشف الطب أن الجزء الأيمن يكون نموّه أسرع عند الطفل الذكر لذلك نرى الأطفال الذكور أقل مهارة من البنات في مجال الأمور الشفوية بينما نراهم أفضل في مجال الإنجازات والألعاب الرياضية، وحتى عند الكبر نلاحظ ذلك الفرق بين الجنسين.

أما دماغ المرأة وبالرغم من كونه يحتوي على فصّين مثل دماغ الرجل إلا إنه يختلف عن دماغ الرجل إذ إنه يتصف بصفة التعميم، وبمعنى آخر فهو وحدة واحدة وكلا الفصين فيه يعملان سوية وبنفس القدر وليس هناك تخصص في الجزئين مثلما عند الرجل.

وها هي الدكتورة **Jane Barr Stump** تصف الفرق بين الدماغين وتقول:

(بسبب هذا الاختلاف بين دماغي الرجل والمرأة يذهب الكثير إلى الإعتقاد بأنه هو السبب الذي يجعل النساء أفضل من الرجال في قوة الملاحظة والإدراك - سعة الأفق - إضافة إلى ذلك فعند حصول أي تلف لأي جزء من أجزاء دماغ المرأة (مثل حصول جلطة دماغية) فإن ذلك لن يؤثر كثيراً على فعالية المرأة حيث أن الفص الثاني والذي هو مشابه تماماً للفص الأول التالف سيتولى القيام بالمهام. أما بالنسبة للرجل فإن أيّ تلف يحصل في الفص الأيسر من دماغه فقد يفقد عندها القدرة على الكلام، وهنا لا يمكن للجزء الأيمن التعويض عن الجزء الأيسر ولذلك لا يمكن له القيام بأعمال الجزء الأيسر. قد يكون هذا التركيب الطبيعي لدماغ كل من الرجل والمرأة له علاقة مباشرة في قدرة المرأة على التحول السريع في إسلوب تفكيرها بينما يصعب ذلك على الرجل).

عالم الرجل وعالم المرأة الخارجي:

يختلف عالم الرجل الخارجي عن عالم المرأة الخارجي اختلافاً كلياً، فحياة الرجل في الخارج وتعامله مع الأشياء التي حوله ومع الأحداث تتسّم بالصراع والمنافسة، إنها معركة حامية الوطيس إذ أن المجتمع بالنسبة له عبارة عن تركيبة هرمية والإنسان فيه إما في القمة أو في الأسفل. وطبعاً فإن القوي هو الذي يكون في القمة والضعيف في الأسفل والرجل بطبيعته يحب أن يكون دائماً في الأعلى ولا يقبل لنفسه أن يكون في الأسفل. فالقمة معناها النجاح والأسفل معناه الفشل، لذلك ترى الرجل يحاول النجاح دائماً فيما يقوم به من أعمال

ليحافظ على مكانته المرموقة في ذلك الهرم ونراه كذلك يحاول أن يحقق ذلك النجاح بمفرده وذلك بعدم طلب المساعدة إذ أن طلب المساعدة دليل على الضعف وتضعه في المرتبة السفلى. حياة الرجل في الخارج تتطلب منه بذل مجهوداً عظيماً إذ يتوجب عليه أن يتكلم كثيراً ويتناقش مع الآخرين ويثبت إنه على صواب وإن الآخرين على خطأ وإنه أفضل منهم، وكذلك فعليه أن يبذل مجهوداً كبيراً في العمل إما مجهوداً ذهنياً أو مجهوداً عضلياً، وأيضاً عليه أن يحمي نفسه من محاولات الآخرين للنيل منه، فالمجتمع مليء بالوحوش المفترسة والتي لا تعرف معنى الرحمة. هذا هو مجتمع الرجل في الخارج ولذلك فإنه عندما يعود للبيت بعد قضاء يوم مثل هذا نراه قد استنفذ كل طاقاته ويكون منهك القوى وفي حالة إجهاد وإن كل ما ينشده هو قسطاً من الراحة يحاول من خلالها استعادة نشاطه ومن ثم التعامل مع من حوله داخل المنزل.

أما عالم المرأة الخارجي فإنه يختلف عن ذلك تماماً، إنه عالم السلام والمحبة، عالم لا يعرف كل تلك الصراعات والمنافسات، عالم شعاره الود والمساعدة. العالم الخارجي بالنسبة للمرأة هو عبارة عن شبكة كبيرة واسعة من الاتصالات والمحادثات تحاول النساء من خلال ذلك التقرب من بعضهن البعض وتقديم يد العون والمساعدة حتى لو لم يطلبها أحد منها، تحاول المرأة في عالمها الخارجي أن تتعامل مع النساء الأخريات من منطلق المساندة والتأييد ومحاولة الوصول إلى اتفاق في الرأي.

مجتمع المرأة هو مجتمع هرمي أيضاً إلا أن تلك الهرمية ليست هرمية القوة والإنجازات مثلما عند الرجل، بل إنها هرمية الصداقة والمودة والعلاقات الاجتماعية. والمرأة في مجتمعها الخارجي تهتم أيضاً بالإنجازات والنجاح وعدم الفشل مثل الرجل إلا أن تحقيق ذلك ليس هو الهدف الأساسي عندها ولا تركز عليه دائماً وطريقة تحقيقها لذلك هو الحوار والمتابعة وليس الصراع والمنافسة الطاحنة التي رأيناها في عالم الرجل.

دعونا نلقي نظرة على المثال التالي ومن خلاله نحاول توضيح أسلوب تعامل الرجل والمرأة مع العالم الخارجي. فهم الرجل لمجريات الأمور وردة فعله، وكذلك فهم المرأة وردة فعلها.

«ذات يوم قرر الزوج فارس الترفيه عن زوجته نضال وذلك بالخروج لتناول طعام العشاء في أحد المطاعم. وبعد وصولهما قررت نضال طلب طبق من السمك وقرر فارس طلب طبق من الكباب. عند وصول الطعام وعندما بدأت نضال الأكل، لاحظت بأن السمك لم يكن معداً بالطريقة التي تحبها وأخبرت زوجها بذلك. تناقش الاثنان حول مسألة طلب تبديل السمك بطبق آخر وأخيراً اتفقا على القيام بذلك وتم استدعاء العامل وأخبرته نضال بأن السمك لم يعجبها وأنها ترغب باستبداله بطبق آخر.

بكل أدب واحترام سأل عامل المطعم عن سبب عدم إعجاب نضال بالسمك؟ وهنا وقبل أن تنطق نضال بحرف واحد، بادر الزوج فارس بالرد نيابة عنها قائلاً: (يبدو أن السمك الذي تقدموه غير طازج).

استغرب العامل وسأل الزوج الشهم: هل تقصد أن السمك الذي نقدمه هو سمك مجمّد؟

نظرت نضال إلى العامل وقالت: الحقيقة أن السمك لم يعجبني.

التقط عامل المطعم السمك ووعد باستبداله بطبق آخر حسب رغبة نضال.

لننظر إلى ما حصل في ذلك المثال البسيط والذي نراه وأشباهه كل يوم تقريباً في حياتنا.

بالنسبة للزوج فارس فإن سؤال العامل عن سبب عدم إعجاب نضال بالسمك كان بالنسبة له بمثابة تحدّ وإن عليه المجابهة، شعر وكأن هناك معركة وإن عليه أن يفوزها. ولكي يفوزها فإنه يتوجب عليه أن يقدم سبباً قوياً يعزز تلك الشكوى ويحقق النصر، وهنا نلاحظ أن فارس كان يخوض معركة نيابة عن زوجته. بالنسبة للزوجة نضال فإن سؤال العامل كان عبارة عن استفسار أو طلب

معلومات حول الطعام نفسه، ولم تشعر بأي نوع من التحدي من قبل العامل أو محاولة العامل لرفض طلبها. ولذلك حاولت إيجاد طريقة مسالمة لاستبدال الطعام وبدون إحراج العامل أو التهجم على المطعم أو الطعام المقدم.

نظرة الرجل والمرأة إلى العالم الخارجي:

عندما ينظر كل من الرجل والمرأة إلى العالم الذي يحيط بهما، يظهران وكأنهما يلبسان نظارات مختلفة. نعم، والسبب في ذلك هو كون الرجل ينظر إلى العالم من منطلق التركيز بينما تنظر المرأة إلى نفس العالم من منطلق **التوسع**. وكلا المنطلقين وبالرغم من الاختلاف الكبير بينهما فأنهما يعتبران صحيحان.

يتميز أسلوب التفكير عند الرجل بربط الأمور ببعضها البعض بشكل حلقات متواصلة، وهكذا وبطريق التدرج يقوم الرجل برسم صورة واضحة للموضوع الذي هو بصدده.

بينما يتميز أسلوب التفكير عند المرأة بالتوسع، وهذا الأسلوب هو عبارة عن رسم صورة كاملة للموضوع في البداية وذلك عن طريق الحدس. بعد ذلك تقوم المرأة بمحاولة اكتشاف كل الأجزاء المتعلقة بذلك الموضوع ومن ثم تقوم المرأة بربط تلك الأجزاء ببعضها البعض.

يؤثر هذا الفرق في النظرة بين كل من الرجل والمرأة على الكثير من الأمور في الحياة، مثل القيم، إعطاء الأولويات، تصرفات اللاوعي، المواهب الطبيعية، المصالح، والسبب في كل ذلك هو اختلاف الرجل والمرأة في النظر إلى العالم الخارجي ومجرياته. فالمرأة التي تتسم بالتوسع تنظر إلى جانب العلاقات المتبادلة بين الناس، لذلك نرى المرأة تهتم كثيراً بجانب الحب، العلاقات، مواصلة المحادثة، المشاركة، التعاون، الحدس، والهدوء النفسي الداخلي.

وعلى الطرف الآخر فإن الرجل الذي يتسم بالتركيز فإنه ينظر إلى جانب

ربط الأمور بعضها البعض بطريقة حلقات متواصلة وبعد ذلك يقوم برسم صورة واضحة. وهذا الأسلوب يدفع بالرجل إلى التفكير في إحراز نتائج، تحقيق أهداف، القوة، المنافسة، العمل، المنطق والكفاءة.

وهنا عزيزي القارىء وعزيزتي القارئة دعونا نلقي نظرة على حقائق تدل على اختلاف أسلوبي النظر عند كل من الرجل والمرأة. لننظر إلى محفظة الرجل وحقيبة المرأة، نعم فهاتان آلتان يستخدمهما كل من الرجل والمرأة لسبب ظاهري واحد، وبالرغم من كون السبب مشترك إلا أننا نلاحظ اختلافات هائلة بين تلك الآلتين المستخدمتين لنفس الغرض وكذلك محتويات تلك الآلتين الداخلية.

دعونا ننظر أولاً إلى الألوان، محفظة الرجل في الغالب إما سوداء أو بنية (جوزاء)، لونان متعارف عليهما. أما حقيبة المرأة فألوانها كثيرة جداً وغالباً ما تكون تلك الألوان زاهية مشعة وبراقة وذات رسوم.

لننظر إلى حجم تلك الآلتين، فمحفظة الرجل صغيرة وفي الغالب خفيفة الوزن وهي مصممة لحمل بعض النقود وبعض الأوراق المهمة مثل رخصة السواقة أو بطاقات بنكيّة. هذا ما يتعلق بمحفظة الرجل. أما حقيبة المرأة الاعتيادية فإنها كبيرة جداً وغالباً ما تكون ثقيلة، والمصيبة الكبرى تكمن في فتح تلك الحقيبة والتعرف على ما في داخلها. يا إلهي إنها جامعة شاملة نجد في داخلها كل ما خطر على البال. إنها أشبه بمستودع فيه كل أنواع العتاد، أسلحة ثقيلة ومتوسطة وخفيفة. فيها نقود ورقية ومعدنية (وهذا شيء لا غبار عليه) نجد في تلك الحقيبة علب صغيرة تحتوي على أنواع عديدة من الأدوية، وجع الرأس، ضمادات، قطن، وما شاكل ذلك. نجد أيضاً قناني حليب للأطفال، أوراق ومستندات ووصولات حديثة وقديمة حتى أن قسماً منها انتهت صلاحيته ولم تعد له أية أهمية، أوراق مهمة وغير مهمة، علبة أو أكثر للماكياج، مشط أو مجموعة أمشاط، مرآة أو أكثر من واحدة، معجون أسنان وفرشاة، جوارب

نسائية إضافية، وصفات طبية تخص جميع أفراد العائلة، آلة حاسبة صغيرة، دفتر أرقام تلفونات ومواعيد، نظارات شمسية (وطبية)، معدات نسائية خاصة، أقلام حبر ورصاص وألوان، قد نجد كاميرا صغيرة وعدة أفلام، ألبوم صور يضم صور أفراد الأسرة والأصدقاء، وقد نجد قليل من الشاي والسكر، نجد رسائل وطوابع بريدية، دبابيس مختلفة الأنواع والأحجام، قد نجد علبة أو أكثر من السجائر ومجموعة من الولاعات، علك (لبان)، وأشياء أخرى تحتاج إلى وقت طويل للتعرف عليها. باختصار، فإن حقيبة المرأة فيها كل ما خطر على بال، إنها مستودع متنقل يحتوي على كل المعدات. بالنسبة للمرأة فإن الحقيبة ما هي إلاّ غطاء أمان، صديق تثق به، وجزء أساسي من كيانها، إنها الآلة التي تلجأ إليها عند حدوث أي طارىء تتعرض له المرأة. وهنا نقول أنه يمكن لنا معرفة مدى التوسع في أسلوب تفكير أية امرأة وذلك من خلال حجم ومحتويات حقيبتها اليدوية.

دعونا ننظر إلى حقيقة أخرى وهي دخول الرجل والمرأة إحدى القاعات الكبيرة ذات الكراسي العديدة، كقاعة اجتماعات. عندما يدخل الرجل نراه أول ما يقوم به هو البحث عن مقعد مناسب، وبعد أن يجد ذلك المقعد ويجلس فيه يبدأ بعد ذلك بتحريك عينيه والنظر إلى ما حوله محاولاً التعرف على الجو العام. ينظر إلى صفوف الكراسي، خشبة المسرح، الحضور، جوانب المسرح، السقف، وهكذا إلى أن يكوّن في مخيلته صورة واضحة لكل من المبنى وكذلك الحاضرين.

أما المرأة فعند دخولها إلى نفس المبنى فإن تصرفها يختلف تماماً عن تصرف الرجل، أول ما تفعله المرأة هو القيام بإلقاء نظرة (قد تكون سريعة خاطفة إلا أنها شاملة)، نظرة تحاول المرأة من خلالها الإلمام والتعرف على كل ما يحيط بها، نظرة تجسد صورة واضحة عن المكان والناس والموجودون هناك، بعد ذلك تحاول المرأة التعرف على المبنى، شكله، تركيبته، ألوانه، ديكوراته، الناس الموجودون، وبعد أن تنتهي من كل ذلك تبدأ بعد ذلك بالبحث عن مقعد مناسب.

هذا الاختلاف يصبح أكثر وضوحاً في المعارض، كمعرض الكتاب إذ نرى الرجل يقوم بالتحرك من كشك لآخر وهو في حالة تركيز تام على الكتب المعروضة، ويكون الهدف الرئيسي هو العثور على ما يمكن الاستفادة منه. تكون حركة الرجل آلية حيث أنه يذهب إلى أحد الأكشاك وبعد الانتهاء ينتقل إلى الكشك التالي، وهكذا. أما المرأة فنراها تدخل المعرض وتكاد تتوقف عن المشي، تدخل المعرض وتبدأ عيناها بالنظر إلى الأكشاك، تستعرض تلك الأكشاك من المكان الواقفة فيه. بعد ذلك تبدأ المرأة بالتحرك، تحرك له إيقاع خاص يختلف عن حركة الرجل الآلية، تبدأ بالتحرك وهي منشرحة الصدر تحاول أن تستمتع بكل ما هو موجود، وبعد ذلك تبدأ بالنظر إلى الكتب المعروضة.

زيارة المعرض بالنسبة للرجل هي العثور على ما يمكن الإستفادة منه، أما بالنسبة للمرأة فإنها متعة واكتشاف أولاً وبعد ذلك العثور على ما يمكن الاستفادة منه.

حقيقة أخرى وهي مسألة التسوق، هل هناك أحد من الرجال يحب التسوق بصحبة المرأة؟ الجواب وبكل تأكيد هو النفي. نعم لا أحد، وهذه الظاهرة هي ظاهرة عالمية نجدها في كل أرجاء العالم. وبالرغم من أن الهدف من التسوق هو واحد إلا أن الأسلوبين مختلفان ومتضادان.

عندما يكون الرجل في حالة تركيز نراه أكثر فاعلية ويتمكن من إنجاز المهام بسرعة أكبر من الاعتيادية، أما المرأة فالمسألة بالنسبة لها تكون العكس من ذلك، نرى المرأة آنذاك تشعر بالتعب وتتضايق وخصوصاً إذا كانت في مكان واسع الأرجاء وفيه أناس كثيرون. لا يمكن للمرأة أن تتصرف مثل الرجل، الدخول إلى السوق، التقاط الحاجة والخروج السريع، هذا التصرف خاص بالرجل وبطبيعته وإذا حاولت المرأة اتباع ذلك التصرف فإنها ستشعر بالتعب وستتأذى حالتها النفسية كثيراً ولا يمكن لها الاستمرار على ذلك النحو.

مصيبة خروج الرجل مع المرأة للتسوق تكمن في الطبيعة التوسعية عند المرأة، إذ أن المرأة وبسبب طبيعتها تلك تحاول في البداية النظر إلى كل ما حولها، تنظر إلى كل شيء معروض، كل شيء حتى لو كانت هناك أشياء لا تدخل في ضمن قائمة احتياجاتها أو قائمة التسوق التي أعدتها مسبقاً، لا بد للمرأة من النظر إلى المعروضات، إنها طبيعة ولا يمكن الحياد عنها.

في كثير من الأحيان يحصل مثل هذا الموقف الذي يزعج الرجل ويرفع عنده ضغط الدم، يكون ماشياً مع المرأة في السوق وهو في حالة تذمر وتأفف، يحاول الإسراع في الانتهاء من عملية التسوق، وبينما هو كذلك فإذا بالمرأة تشاهد شيئاً (لا تحتاج إليه) ومع ذلك تقف وتتمعن في النظر إليه وإلى جماله وتبدأ بالتحدث إلى الرجل عن ذلك الشيء وعن جماله!! ما يقوله الرجل في داخله آنذاك (كلانا يعلم جيداً أن ذلك الشيء ليس في قائمتنا ولا حتى نحتاج إليه، لا أدري لم تحدثني عنه ولم مضيعة الوقت هذه؟). وطبعاً يمكن للقارىء الكريم معرفة حالة الرجل النفسية في تلك الأثناء، إنه أشبه بالقنبلة الموقوتة، تنفجر بمجرد الملامسة.

هنا نقول للرجل: عليك التحلّي بالصبر، عليك أن تعلم بأن تصرف المرأة هذا هو أمر طبيعي بالنسبة لها ولطريقة تفكيرها، لا تتصور أن المرأة تتعمد إثارتك أو رفع ضغط دمك أو أنها ساذجة أو غبية، أبداً إنها تتصرف تصرفاً طبيعياً جداً، إنها طبيعتها النسائية التي لا يمكن تغييرها أو التنكر لها.

تدل التجارب العلمية والأبحاث الدراسية على أن الرجل لا يستطيع مسايرة حالة المرأة التوسعية لأكثر من نصف ساعة، نصف ساعة توسع وعدم تركيز هي الحد الأقصى الذي يمكن للرجل تحمله وبعد ذلك يبدأ الرجل بالتضايق والله أعلم بما يفعل بعد ذلك.

في الغرب نلاحظ وجود مقاعد في المحلات الكبيرة وفي الأسواق الضخمة. من أعدّ هذه المقاعد ولمن؟ الجواب هو أن إعداد هذه المقاعد تم

بناء على نتائج الأبحاث السايكولوجية التي قام بها العلماء. نعم، هذه المقاعد تم إعدادها خصيصاً للرجال الذين يرافقون النساء في السوق والذين لا يمكن لهم الاستمرار في التنقل من محل لآخر لمدة طويلة كما تفعل النساء. لا بد وأن يشعر الرجال بالتعب الذهني، يمكن للمرأة أن تقضي ساعات طويلة في مثل هذه المحلات أو محلات أخرى، نعم تقضي ساعات طويلة وهي في منتهى الراحة والاستمتاع، أما الرجل فنصف ساعة من التوسع ويتعب ذهنه وينتهي صبره ويضيق خلقه وتنقلب حالته النفسية من الود والحنان إلى العصبية وتشنج الأعصاب. هذه المقاعد أعدّت خصيصاً لإراحة الرجال النفسية.

لننظر إلى حقيقة أخرى، هل لاحظت عزيزتي المرأة انزعاج الرجل عندما يكون في حالة تحدث مع شخص آخر وتحاولين التحدث إليه (مقاطعته؟) هل حصل ذلك من قبل؟ إن لم يحصل ذلك من قبل فإنه لا بد واقع الحصول في المستقبل إلا إذا توقفت عن فعل ذلك فوراً.

وهل لاحظت انزعاج الرجل عندما يكون في حالة قيادة السيارة، صاباً كل انتباهه على الطريق والسيارات الأخرى وأثناء ذلك تحاولين التحدث إليه؟.

المصيبة هي أن المرأة لا تعلم أسلوب الرجل في طريقة التفكير ولا طبيعته التركيزية، فالرجل الذي يتحدث هاتفياً مع شخص آخر يكون وقتها مركزاً على ذلك الموضوع الذي يتحدث عنه، وإذا حاولت المرأة التحدث إليه فإنها كأنما تقول للرجل (أترك الموضوع الذي تتحدث فيه وحوّل انتباهك إليّ بسرعة البرق!). يا سبحان الله... ألا تعلم المرأة أن هذا شيئاً مستحيلاً بالنسبة للرجل؟ ألا تعلم أن الرجل لا يمكن له أن يحوّل تركيزه بتلك السرعة وإن الرجل لا يحب التركيز على موضوعين في آن واحد؟ هنا تقول أن الرجل يتمكن من النظر في أكثر من موضوع إلا أنه لا يستطيع التركيز ولا يحب القيام بذلك. يعلم الرجل إنه لو حاول التركيز على أكثر من موضوع واحد في نفس الوقت فإن النتيجة لن تكون بالمستوى الذي يرغب فيه، قد يرتكب الرجل خطأ أو عدّة

أخطاء، لذلك فعندما يكون الرجل في حالة قيادة السيارة فإن تركيزه يكون منصباً على القيادة والوصول بسلام وأي كلام معه قد يعكّر عليه ذلك التركيز ويسبب كارثة. نلاحظ انزعاج الرجل واضحاً خصوصاً عندما يكون الرجل ماراً بمنطقة مزدحمة تكثر فيها السيارات ويكثر فيها تواجد المارة، أما في الشوارع الخارجية والتي تقل فيها حركة السيارات والمارة فنرى الرجل أكثر استعداداً للتحدث والسبب هو عدم تركيزه ١٠٠٪ على السياقة.

تنزعج المرأة كثيراً من الرجل ومن تصرفه، ما الذي دهاه؟ كل ما حاولت فعله هو التحدث إليه وهو يسوق في منطقة مزدحمة؟ هل إن ذلك جريمة يعاقب عليها القانون؟ هنا تبدأ المرأة بالتفكير وتحاول وضع نفسها محل الرجل، وتبدأ تسأل نفسها (لو كانت هي التي تسوق ويقوم الرجل بالتحدث إليها فهل ستتصرف بذلك الشكل القاسي؟؟ أبداً، لم إذاً تصرف الرجل بذلك الشكل؟).

هنا نقول للمرأة الفاضلة: لا شك أنك تعلمين طبيعتك الأنثوية جيداً، تلك الطبيعة التوسعية التي تمكنك من التعامل مع أكثر من موضوع واحد وفي وقت واحد، لا شك أنك تتمكنين من التحدث على جهاز الهاتف وفي نفس الوقت تكونين منشغلة بإعداد الطعام وتغيير ملابس الأطفال المتسخة ومساعدتهم في ارتداء ملابس نظيفة وحتى لو أن هناك شخصاً آخر في المنزل حاول مقاطعتك وطلب منك الانتباه والتحدث إليه فإنك قادرة على فعل ذلك. لا شك أنك تستطيعين القيام بكل ذلك، إلا أن عليك أن تعلمي طبيعة الرجل أيضاً، تلك الطبيعة التركيزية التي تعيقه من القيام بكل الذي ذكرناه، تمنعه من التعامل مع أكثر من موضوع.

وهنا نقول للرجل أيضاً إذا لاحظ تصرف المرأة الذي لا يحبه: عليه أن يعلم بأن المرأة المسكينة لا تحاول أن تنغص عليه عيشته ولا تحاول متعمدة إيذاء شعوره. إنها فقط تتصرف من منطلق طبيعتها النسائية التوسعية. وطبعاً هناك أمثلة كثيرة من واقع الحياة وكلها توضح هذه الاختلافات في الطبائع،

فالرجل المشغول بمشاهدة التلفزيون أو قراءة أحد الكتب أو الصحيفة وتحاول المرأة التحدث إليه ينزعج الرجل وتكون ردة فعله غير لطيفة أو مقبولة من قبل المرأة، تنزعج المرأة لردودالفعل تلك و. . .

عزيزتي المرأة، لا شك أنك الآن عرفت سبب تصرفات الرجل من هذا القبيل والتي بالطبع لا تعجبك، عليك أن لا تأخذي الموضوع بشكل شخصي ولا تفهميه بشكل خاطىء ولا تسيئي الظن بالرجل ولا بحبه لك فما يدفع الرجل إلى ذلك التصرف هو طبيعته الرجولية وليست مشاعره نحوك. ومن الآن فصاعداً يمكنك اتباع أسلوباً آخراً للتحدث إلى الرجل المشغول بشيء ما، أسلوباً يعطيه الفرصة للاختيار وكذلك تحويل انتباهه وتجهيز نفسه للتحدث إليك. عندما يكون الرجل مشغولاً وتودين التحدث إليه يمكنك أن تقولي بأسلوب ودي لطيف وليس فيه رائحة الاستعجال: (متى يمكننا التحدث في موضوع كذا؟).

إذا كان جواب الرجل: (يمكننا التحدث الآن) وهو لا زال شاخصاً بصره إلى شاشة التلفزيون فهذا يعني إما أن الرجل لا يعرف قدراته الطبيعية بالضبط وإنه لن يتمكن من إعطائك الاهتمام المطلوب أو أنه لن يعبأ بما تودين التحدث عنه، فلا تنخدعي بذلك إذ أن النتائج سوف لن تعجبك.

من هو الثرثار، الرجل أم المرأة؟

الاعتقاد الشائع هو أن المرأة هي التي تتكلم أكثر من الرجل وأنها ثرثارة. هذا الاعتقاد باطل ولا صحة له بالمرة، نعم، إنه اعتقاد خاطىء وفيه ظلم كبير وإجحاف بحق المرأة.

فالرجل نراه في الخارج وفي الأماكن العامة هو الثرثار، بينما المرأة إما قليلة الكلام أو صامتة. أما في داخل البيت فإن المسألة تكون معكوسة إذ إنّ المرأة هي التي تتكلم دائماً بينما الرجل إما قليل الكلام أو صامتاً. والسبب في ذلك هو إنّ حياة الخارج بالنسبة للرجل عبارة عن صراع ومعركة شديدة وإن

واجبه يحتم عليه أن يستعمل كل الأسلحة المتاحة لديه لأجل الفوز وتحقيق النصر كي يبقى محتفظاً بمكانته في أعلى الهرم وكذلك فإن عليه أن يحمي نفسه من محاولات الآخرين للنيل منه وإيذائه. وطبعاً فإن أقوى الأسلحة في معركة مثل هذه هو الكلام فنراه يستهلك كثيراً من الكلام وهذا ما يجعله يظهر بمظهر المتكلم أكثراً (ثرثاراً). وعند عودته إلى البيت نراه قليل الكلام أو حتى صامتاً وذلك لأنه قد بذل مجهوداً كبيراً في الخارج ولم تبق لديه الطاقة التي تعينه. كذلك فإن المنزل بالنسبة له هو المكان الذي لا يتوجب عليه الكلام فيه.

أما بالنسبة للمرأة والتي تكون قليلة الكلام في الخارج وفي الأماكن العامة (وذلك لأسباب عديدة سنحاول إيضاحها في موضع آخر) فإنها عندما تكون في داخل المنزل نراها تكثر من الكلام وتتكلم في أمور شتى (هنا علينا أن نتذكر نقطة مهمة وهي أن الحياة بالنسبة للمرأة عبارة عن اتصال ودي ومحاولة خلق جو ملؤه المحبة والوئام والكلام هو أفضل وسيلة). وهنا تظهر المرأة وكأنها هي الثرثارة وليس الرجل. يشعر كثير من الرجال أن النساء لا يتوقفن عن الكلام داخل المنزل إذ أنهن يتكلمن في كل شيء وحتى لو لم يكن هناك شيء فإن المرأة تختلق شيئاً ما وتبدأ الكلام فيه. وطبعاً فإن ذلك يزعج الرجال ويثير أعصابهم. وعلى الطرف الآخر فإن النساء غالباً ما تكون شكواهن الأساسية هي صمت الرجال المبهم داخل المنزل (وهذه نقطة حساسة سنمر عليها أيضاً في مقام آخر).

دعا أحد المتخصصين مجموعة من الرجال والنساء لحضور مؤتمر الغرض منه مناقشة «من الذي يتكلم أكثر، الرجل أم المرأة». وعندما بدأ النقاش لوحظ أن أكثر المتكلمين كان رجلاً من الحاضرين إذ أن صاحبنا هذا كان كثير النقاش فهو يطرح أسئلة كثيرة ويقوم بالإجابة على أسئلة أخرى ولا يتوقف عن الكلام وعندما ذكر منظم المؤتمر أن النساء غالباً ما يشتكين من صمت الرجل داخل المنزل، وقف صاحبنا هذا وألقى بنظرة شاخصة إلى زوجته التي كانت جالسة بجانبه والتي لم تتفوه بأي كلمة، وقف وقال: إسمح لي يا سيدي بأن أقول إن

هذه الملاحظة مهمة جداً وممتازة، إن زوجتي لا تتوقف أبداً عن الكلام داخل المنزل. هنا ضحك الحاضرون لما قاله إذ إن الجميع لاحظ أنه هو الذي كان الأكثر كلاماً وأن زوجته كانت صامتة ولم تفتح فمها طيلة تلك الفترة. كيف يكون ما يدعيه صحيحاً؟.

هنا شعر صاحبنا بنوع من الإحراج والخجل وقال: هذا حقيقي بعد انتهاء العمل وعودتي للمنزل أكون مرهقاً وليس لدي كلاماً أقوله، أما زوجتي فتكون لديها الرغبة في الكلام وعدم التوقف.

قامت سيدة من الحاضرين وقالت: لا يتوقف زوجي عن الكلام في الخارج، إنه مثل جهاز التسجيل والذي يعمل على الوجهين بصورة تلقائية. فبعد انتهاء الوجه الأول يبدأ الوجه الثاني وهكذا، أما في المنزل فإنه صامت مثل الحجر. والحقيقة فإن ذلك يقلقني كثيراً هل إنه يكرهني ولا يود الكلام معي؟!.

وذكرت سيدة أخرى: عندما يعود زوجي من العمل وأسأله عن يومه وكيف كان، فبدلاً من أن يخبرني بما حصل فإنه غالباً ما يجيب (كان يوماً صعباً، أو كان يوماً عادياً، جواباً في منتهى الاختصار). ولكن ألاحظ أن الآية تنقلب وتتغير عندما يكون عندنا ضيوف، فزوجي الصامت والذي نادراً ما يفتح فمه وينطق تصبح عنده رغبة كبيرة في الكلام وعدم التوقف عن ذلك. يبدأ بالحديث عن موضوع ما وبعد الانتهاء من ذلك الموضوع ينتقل إلى موضوع آخر حتى أنه يبدأ بسرد نكات لم أسمعها منه قبل ذلك؟!.

تم نشر بعض الرسوم الفكاهية والتي لها علاقة بنفس الموضوع، فقد تم نشر صورة تمثل رجلاً جالساً على الكرسي وبيده صحيفة يقرأ فيها وبالقرب منه وعلى الكرسي الآخر تجلس زوجته وهي تنظر باشمئزاز إلى خلف الصحيفة وتقول: أنا متأكدة إنك لا تشعر حتى بوجودي.

وفي الصورة الثانية صورة للرجل وهو لا يزال يقرأ الصحيفة وقد مدّ يده

إلى الكرسي والذي كان فيه قطة العائلة بدلاً من الزوجة والتي كانت قد تركت الغرفة، وهو يقول: كيف لا أشعر بوجودك فأنت زوجتي الحبيبة.

وفي رسم فكاهي آخر والذي يظهر كثرة كلام المرأة داخل المنزل واستياء الرجل لذلك، نرى صورة رجل جالساً على الكرسي وبيده صحيفة، وقبل أن يفتح تلك الصحيفة يخاطب زوجته قائلاً: هل لديك شيئاً تودين التحدث عنه قبل أن أبدأ القراءة؟ والتعليق تحت الصورة يقول: (يعلم الرجل أنه ليس لدى زوجته أي موضوع مهم تود التحدث فيه وهو يعلم أيضاً أنه حال بدئه القراءة فإنها ستختلق موضوعاً ما وستبدأ بالكلام وتطلب منه الانتباه والمشاركة).

أخطر ما في هذا الموضوع هو ما يجري بين الرجل والمرأة داخل المنزل. فالكل يعلم أن المنزل هو المكان الأمثل لطلب الراحة بالنسبة للرجل والمرأة على السواء، إلا أن مفهوم الراحة يختلف عند الاثنين فالراحة بالنسبة للرجل هي الابتعاد عن الصراعات والمنافسات في العمل وفي الأماكن العامة التي يرتادها وعدم حاجته إلى الدخول في مناقشات طويلة وعريضة أو ضرورة قيامه ببعض الأعمال والتي من خلالها يثبت للآخرين مقدرته وكفاءته وعبقريته وأهليته بالاحترام. وباختصار فإن الراحة بالنسبة له هي عدم الكلام أو على الأقل الحصول على حق عدم الكلام.

أما الراحة بالنسبة للمرأة فهي تعني أن البيت هو المكان الأمثل الذي تشعر فيه بالحرية في الكلام وعدم خوفها من ملاحظات الآخرين وتفسيرهم لما تقول لذلك نراها تتكلم كثيراً في أمور مهمة وغير مهمة. لنتصور معاً ذلك الموقف والذي يتكرر يومياً في حياتنا، رجل متعب قضى معظم وقته في الخارج ويود الحصول على قسط من الراحة ليستعيد بعضاً من نشاطه، وامرأة متعطشة للكلام كانت في انتظار عودته؟؟

المحادثة بين الرجل والمرأة:

من الأمور التي تسبب الكثير من المشاكل بين الرجل والمرأة هي عدم إمكان الرجل فهم المرأة وفهم قصدها في الكلام وإسلوب تفكيرها في الحياة. نعم، ففي كثير من الأحيان يسيء الرجل فهم المرأة ويتصرف تصرفاً يثير غرابة المرأة ويحيرها، والسبب هو سوء الفهم النابع من الجهل في اختلاف الجنسين.

لننظر إلى الحكاية التالية وهي من ملفات أحد الأساتذة الإخصائيين:

ذات يوم كانت الزوجة بشرى تفتش عن الاستمارة الخاصة بإشراك الأطفال في المعسكر الصيفي الذي تعدّه المدرسة كل عام، وأثناء البحث بدأت تفكر بالرسوم التي يتوجب دفعها فالمبلغ ليس باليسير. كان عليها أن ترد على المدرسة خلال يومين فقط، حيرة ولا تعرف الجواب على ذلك.

بعد ذلك وعند تسلمها البريد لاحظت فاتورة الماء والكهرباء وكان المبلغ كبيراً أيضاً، وهنا زاد قلقها وبدأت تفكر ثانيةً في مسألة إشراك الأطفال في المعسكر الصيفي.

عندما عاد زوجها ماجد من العمل كانت الزوجة بشرى في حالة انزعاج وقالت لزوجها (لقد وصلت اليوم فاتورة الماء والكهرباء والمبلغ كبير، لا أدري كيف سنتمكن من دفعه؟).

ردّ عليها الزوج ماجد قائلاً: (سنتدبر ذلك فأمامنا متسع من الوقت لدفع تلك الفاتورة).

ظنّ الزوج أن جوابه هذا سيريح الزوجة. كيف لا وقد حل المشكلة!... وكذلك ظن الزوج وبطريق الخطأ أن ما يزعج الزوجة بشرى هو فاتورة الماء والكهرباء فقط.

بعد قليل فتحت بشرى فمها ثانيةً وقالت: (بعد أيام قليلة سيتوجب علينا

دفع إيجار المنزل). وهنا استمرت الزوجة بشرى في كلامها وقلقها عن وضع الأسرة المالي.

هنا استاء الزوج ماجد ورد عليها بصوت يدل على ذلك الشعور: (لا تقلقي فلا يزال أمامنا متسع من الوقت).

أزعجت معاودة بشرى الشكوى الزوج ماجد وبدأ يشعر من خلال كلام الزوجة برائحة تهجّم عليه شخصياً، وهنا بدأ يفكر في داخله: (هل إنها منزعجة وغاضبة لإني إنسان مسرف أو لأن راتبي قليل ولا يكفي؟) عليها أن تنتبه إلى نفسها فمصاريفها لا تقلّ عن مصاريفي.

ما لم يعلمه الزوج هو أن الزوجة كانت تعبر عن قلقها حول الوضع المادي وذلك محاولة منها لإيجاد طريقة تمكنها من إرسال الأطفال إلى المعسكر الصيفي.

ما آلم الزوجة أثناء محادثتها مع زوجها هو قوله (لا تقلقي)، فما فهمته الزوجة من تلك الكلمة هو (ليس لك الحق في القلق) بينما ما عناه وقصده الزوج هو مجرد محاولة منه لتهدأتها وإزالة القلق عن بالها. هذه هي طريقة الرجال في حل المشاكل والشعور بالراحة. ما لم يعلمه الزوج هو أن أسلوبه هذا أسلوباً ناجحاً مع رجل آخر مثله أما مع المرأة فإنه أسلوب فاشل عقيم ويضيف مشكلة أخرى جديدة (سنرى سبب ذلك في مواضع أخرى من هذا الكتاب). وبعبارة أخرى فإن الزوج قد زاد الطين بلّة، فآخر ما كانت الزوجة تود سماعه هو ما قاله لها (لا تقلقي). فما سمعته الزوجة آنذاك هو قول الزوج لها (ليس لديك السبب الذي يدعو إلى القلق وعليه فإنك حمقاء وتافهة وغير جديرة بالاحترام).

شعرت الزوجة بأن زوجها كان سخيفاً وغير مهتم بمشاعرها ولا بمشاعر أي شخص آخر. حقيقة ما أرادته الزوجة هو تفهم زوجها لمشاعرها وقلقها إلا أن ما حصل هو عكس ذلك. شعرت أن زوجها كان يحاول الاستخفاف بها وبمشاعرها.

وبالرغم من كل ذلك الأذى الشعوري استمرت الزوجة في التعبير عن قلقها المادي وقالت: (أنت تعلم بأننا وعدنا الأطفال بأخذهم إلى حديقة الحيوانات وذلك يعني تكاليف مادية أخرى).

وبتضايق واضح رد عليها الزوج قائلاً: (أنا أعلم ذلك وستكون كل الأمور على خير ما يرام).

أساء الزوج فهم نبرات صوت زوجته الدالة على القلق، وبدأ يقول في داخله: (كيف تجرؤ على وصفي بالأب المقصّر بحق أبنائه فأنا دائم الوفاء بالوعد وخصوصاً بالنسبة للأولاد، هل إنها تحاول أن تقول بأني لا أحب الأولاد؟ هل إنها تحاول انتقادي؟ ما السبب الذي يدعوها لذكر كل هذه الأمور؟).

شعر الزوج بمهاجمة الزوجة ورفضها له ولكلامه. ما لم يعلمه الزوج هو أن الزوجة تعلم جيداً بأنه أب ممتاز وكل ما في الموضوع هو قلقها المادي... كانت تود أن يفهم الزوج ذلك.

استمرت الزوجة بالكلام عن الوضع المادي وقالت: (علينا أن ندفع فاتورة المستشفى الخاصة التي تعالجت فيها ابنتنا هناء).

زاد ضيق الزوج واستيائه ورد عليها قائلاً: (اسمعيني جيداً، لقد أخبرتك في السابق بأني سأحصل على مكافأة خاصة في العمل هذا الشهر إهدئي ولا تعطي الموضوع أكثر من أهميته). وهنا نود أن نوضح بأن سبب انزعاج الزوج هو شعوره بأن زوجته كانت تصفه بعدم المسؤولية وإنه إنسان لا يمكن الاعتماد عليه، وقد أخذ الموضوع بصورة شخصية.

بعد قليل ومن منطلق قلقها المادي قالت الزوجة: (لنفرض أنك لن تحصل على تلك المكافأة المالية، ما الذي سيحصل وقتها، كيف سنتدبر الموضوع؟).

ردّ عليها الزوج قائلاً: (يا سبحان الله، إنك إنسانة كثيرة القلق).

سكتت الزوجة على مضض وبعد قليل قالت: (لقد وعدت بزيارة والدك المريض، متى ستذهب؟).

وهنا انفجر الزوج قائلاً: (الله أكبر هل يمكن أن تسكتي وتتركيني وحدي؟).

شعر الزوج وكأنه واقفاً في المحكمة، في قفص الاتهام مواجهاً حاكماً جائراً، حاكماً لا يتوقف عن طرح الأسئلة الكثيرة التي يحاول من خلالها إدانته. لم يشعر في ذلك اللحظة بأي نوع من الحب من قبل زوجته. وبالرغم من كل ذلك فلم تتوقف الزوجة عن الكلام وإبداء قلقها المالي وقالت: (بعد شهرين سيحين موعد تسديد المبلغ الذي استلفناه من والدتي، كيف سنتمكن من ذلك؟).

انقلب الزوج إلى موقف المدافع ورد عليها: (لقد فكرت بذلك أيضاً، لا تهتمي فكل الأمور ستسير بصورة سليمة).

وهنا بدأ بالتمتمة قائلاً: (هل تظن أني غبي، بالطبع أني فكرت بكل ذلك).

وبعد كل هذه المناوشات الكلامية قالت الزوجة: (أتمنى أن نتمكن من إشراك الأطفال في المعسكر الصيفي هذه السنة. أعتقد أني ضيعت الاستمارة الخاصة بالتسجيل، هل رأيتها؟).

كانت حالة الزوج هي الغليان وعدم الرغبة في التحدث إليها إلا أنه رد عليها قائلاً: (إذا كانت حالتنا المالية بهذه الدرجة من التعاسة، فلم تفكري بصرف مبالغ أخرى جديدة؟!).

ما كانت نتيجة تلك المحادثة؟ جرح شعور الزوجة وتوقف الزوج عن الكلام إليها، ما كان من المفروض أن تكون محادثة بسيطة وعادية انقلبت إلى مشاحنات ومشكلة كبيرة.

لو علم الزوج أن زوجته كانت بحاجة للكلام فقط حول ذلك القلق كي تتمكن من الشعور بالراحة، لتمهّل في (تشخصيه للمشكلة ووضع الحل المناسب لها). حصل سوء الفهم ذلك بسبب اختلافهم السايكولوجي.

كيف كان المفروض أن يتصرف كل منهما، وخصوصاً الزوج، كي يتفادوا حصول مثل هذه المشكلة؟ لنقم بإعادة تلك الحادثة بأسلوب يراعي فيه كل من الزوجين سايكولوجية الطرف الآخر المختلفة.

تقول الزوجة: (لقد وصلت اليوم فاتورة الماء والكهرباء والمبلغ هذا الشهر كبير، لا أدري كيف ستتمكن من دفعه؟).

هنا يهز الزوج رأسه قائلاً: (همممم... لا شك أن المبلغ كبير)، ويبدأ هنا بالتفكير ويقول في داخله: (لا أردي إن كانت هذه هي المشكلة الحقيقية وراء هذه الشكوى التي تزعجها؟ بصورة عامة فإن ما تتشكى منه المرأة أولاً لا يكون السبب الحقيقي إنه مجرد إحماء وتسخين وتحضير لما يزعجها فعلاً، قد تكون في حاجة إلى المزيد من الكلام. سأقوم بالإصغاء ولن أقاطعها في الكلام).

بعد ذلك تقول الزوجة: (بعد أيام قليلة سيتوجب علينا دفع إيجار المنزل).

يهز الزوج رأسه ثانية دلالة على الموافقة ويقول: (آه أنت على حق). ويفكر في داخله: (أعتقد أنها تودّ التحدث عن وضعنا المالي. عليّ أن أتذكر عدم مقاطعتها أنا على ثقة بتمكني من مساعدتها ومساندتها وذلك بالتقليل من الكلام والتعليقات، عليّ أن أحاول فهم شعورها).

بعد ذلك تقول الزوجة: (أنت تعلم أننا وعدنا الأطفال بأخذهم إلى حديقة الحيوانات وذلك سيكلف بعض المال).

يهز الزوج مرة أخرى رأسه دلالة على التأييد ويقول: (نعم ذلك سيكلف بعض المال).

تعود الزوجة وتقول: (ما سيكون الموقف في حالة عدم حصولك على تلك المكافأة؟).

يرد الزوج قائلاً: (إن لم أحصل على تلك المكافأة... نحن في مشكلة). مع كل جواب يتذكر الرجل عدم تقليل أهمية قلقها، هذا شيء مهم جداً، ولو أن الزوج لم يلتزم قاعدة الاستماع وعدم المقاطعة لكان وبكل سهولة أن يقول لها: (أنت كثيرة القلق) أو إنه سيحاول تقديم النصائح والحلول، مثل قوله: (إن لم أحصل على المكافأة هذا الشهر فسأحصل عليها الشهر القادم ويمكن عندها دفع كل المستحقات المالية). لحسن الحظ فقد تعلم الزوج فن الإصغاء وعدم مقاطعة الزوجة أثناء كلامها وشكواها، وكذلك عدم تقليل أهمية ما يقلقه، بعد ذلك تقول الزوجة: (لا أدري إن كان بالإمكان إشراك الأطفال في معسكر المدرسة الصيفي هذه السنة، أعتقد أني ضيعت الاستمارة الخاصة بذلك، هل رأيتها؟).

وهنا يرد الزوج قائلاً: (همم، كلا لم أرها).

وهنا تسأل الزوجة: (ما رأيك هل نرسل الأطفال إلى المعسكر الصيفي هذه السنة أم ننتظر إلى السنة القادمة؟).

يرد الزوج قائلاً: (أنا لست متأكداً، ربما الأفضل الانتظار حتى أستلم المكافأة حيث أن ذلك أضمن). يحاول الزوج هنا الكلام بأسلوب لا يدل على رأي قاطع. (حقيقة ما يجول في رأس الزوج هي أن هذا الموضوع لا يحتاج إلى كل هذا النقاش الطويل العريض حيث أن التكاليف يسيرة ومقدور عليها وليس هناك فرق كبير في إشراكهم الآن أو الانتظار لحين تسلّم المكافأة).

وهنا تهدأ الزوجة وتقول: (كلامك معقول وتتقرب من زوجها وتشكره على إصغائه وتفهمه).

ونتيجة لذلك يشعر الزوج بالانتعاش والفرحة ويحمد الله تعالى على النتائج.

نرى في الحكاية السابقة كيفية تعلم سر تطوير المحادثة مع زوجته، ألا وهو فن الإصغاء وعدم المقاطعة وعدم محاولة التقليل أو التهوين من مشاعر الزوجة وكذلك عدم مقاطعتها أثناء كلامها.

الإصغاء فن كباقي الفنون ويحتاج إلى بعض الوقت لتعلّمه واتقانه، مثله مثل تعلم الكلام عند الطفولة، المسألة تحتاج إلى بعض الوقت.

سوء فهم الرجل للمرأة ليس هو المجال الوحيد الذي يؤدي إلى مشاكل، فللمرأة نصيب أيضاً في ذلك إذ عدم فهمها الحقيقي للرجل ولنفسيته وطريقة أسلوبه الخاص في التفكير والتعامل مع الأشياء كل ذلك وكما سنرى يؤدي إلى مشاكل أخرى. فمثلما يقوم الرجل وبكل حسن نية وبراءة بإزعاج المرأة وذلك من خلال محاولاته للإصلاح أو تقديم النصائح المجانية التي لم تطلبها منه المرأة، فالمرأة أيضاً تسبب الكثير من الإزعاج للرجل ولكن بأساليب أخرى منها محاولاتها المستمرة في تحسين وتطوير الرجل.

عندما يبدأ الرجل بالكلام ويبدأ بذكر بعض المشاكل التي تواجهه فكلما يحتاجه الأمر إلى دفع الرجل إلى زاوية الصمت هو تعليق خاطىء من قبل المرأة، نعم تعليق خاطىء، لا تشعر المرأة وقتها بذلك الخطأ، وعندما تلاحظ صمت الرجل تستغرب وتندهش، لا تعلم المرأة بأن أية محاولة من جانبها لمساعدة الرجل أو تحسينه تعتبر بمثابة مهاجمة للرجل ولذاته.

لنحاول تقريب الصورة المذكورة وذلك من خلال الأمثلة العملية التالية:

١ ـ سعاد وزوجها داود:

أصابت داود حالة من القلق وذلك بعدما لاحظ أنه صرف الكثير من المال على عملية الترميم التي يقوم بها في منزله. وها هو يحاول إيجاد طريقة لسداد ديونه التي ستستحق قريباً.

بعد انتهاء العمل وعودته للمنزل يقول لزوجته سعاد بصوت يدل

على الاندحار والهزيمة: (لا أدري كيف سأتمكن من تسديد الديون المستحقة؟).

ترد عليه الزوجة قائلة: (منذ البداية لاحظت بأننا صرفنا الكثير من المال في ذلك الترميم. لقد نبهتك لذلك).

هنا يسكت داود ويلتزم جانب الصمت، بينما تشعر سعاد بالأسى على الموقف الذي هم فيه ولكنها في نفس الوقت تحتار لصمت داود. لا تدري أنها آلمته كثيراً وجرحت شعوره وذلك من خلال الانتقاد الذي وجهته أثناء كلامها.

توقيت وأسلوب الانتقاد كانا على خطأ وذلك مما سبب جرح مشاعر الزوج. فلو أن ما قالته الزوجة كان في وقت لم يكن فيه الزوج شاعراً بالاندحار والهزيمة لكان من الممكن أن يأخذ كلامها على إنه نقد بنّاء وليس انتقاد وتعنيف. كان من الممكن له أن يعترف بخطئه ويقول: (أنت على حق كان المفروض أن أفكر قبل القيام بصرف تلك المبالغ). إلا أن شعور الزوج بالهزيمة واستيائه لذلك دفعه إلى الاعتقاد بأن الزوجة تحاول أن تعلمه درساً في الحياة وفي تحمل المسؤولية وحسن التدبير والتصرف.

في تلك اللحظة كانت ردة فعل الزوج الداخلية (لا أكاد أصدق ما تقوله سعاد، هل تعتقد بأني غبي؟ هل تعتقد بأني لم أدرك مسألة الإسراف في عملية ترميم المنزل؟ كيف تتجرّأ وتصفني بالمسرف الغبي؟!... ألا تعلم أن الناس أحياناً يكثرون في مصاريفهم في عملية ترميم بيوتهم؟ هل إن ذلك جريمة؟ طريقتها هذه في التعامل تزعجني كثيراً وخصوصاً عندما تعاملني معاملة الأطفال وتحاول تصحيح أخطائي وإعطائي دروساً في الحياة. هذه هي المرة الأخيرة التي أشاركها ما يضايقني، لن أتكلم معها في مثل هذه المواضيع أبداً، ألا يمكنها فقط الاستماع إليّ ومحاولة مؤازرتي؟ كلما وجدت فرصة سانحة لمهاجمتي تقوم باستغلالها ولا

تتوانى عن مهاجمتي.

هذه هي طبيعة الرجال، فقد يلجأون إلى جانب الصمت بسبب انتقاد لاذع من قبل المرأة.

٢ ـ ندى وزوجها ناصر:

ناصر رجل أعمال ناجح ولديه شركة كبيرة، ذات يوم عاد من العمل متضايقاً وعلى وجهه علامات تدل على عدم الارتياح.

دخل المنزل وبعد قليل قالت الزوجة: (ما الحكاية يا أبا زيد؟).

ردّ عليها بصوت يدل على الضيق والتألم وقال: (مبيعات الشركة لهذا الشهر قليلة وهذا يؤثر على الدخل الشهري بالنسبة للمنزل أيضاً).

وهنا ردّت عليه الزوجة قائلة: (لا بأس فكل الأعمال التجارية تمر بمثل ذلك، فتارة تكون المبيعات عالية وممتازة وتارة أخرى تكون منخفضة. أعتقد أنه كان من المفروض أن تخطط ونضع في الحسبان أياماً مثل التي نمر فيها حالياً).

هنا تقوقع ناصر وتوقف عن الكلام وانطوى على نفسه وبدأ شعور الغضب عنده، وبدأ يقول في داخله: (أنا لم أطلب منها أية نصيحة، لا أطيق تصرفها هذا وخصوصاً عندما تبدأ بإلقاء محاضرة في فن الأعمال والتجارة. هل تتصور أني غبي؟ أنا أعلم جيداً أن الحياة التجارية تمر بمراحل مختلفة.

ما أراده ناصر من زوجته هو الاستماع إليه وعدم تقديم نصائح مجانية ومعلومات لا قيمة لها ولا تساعد بأي حال من الأحوال على حل المعضلة. كان يريد منها المساندة والمؤازرة (طبعاً على طريقة الرجال) أي تعليق أو نصيحة يمكن أن يكون لهما مساوىء تؤثر على نفسية الرجل تأثيراً سلبياً.

قد يظن البعض أن جواب ندى كان معقولاً وسلساً وليس فيه أي تجريح أو انتقاص من زوجها ناصر وبالتالي فإن ردة فعل ناصر كانت خاطئة وغير طبيعية.

والجواب على ذلك هو أن هذا التصور غير صحيح إذ أن أية نصيحة من قبل المرأة في مثل هذا الموقف تدل على الانتقاص من الرجل ومن ذكائه وتقود إلى ردة فعل معاكسة سلبية. كان يمكن للزوجة أن تقول: (لا تهتم فأنت رجل أعمال ناجح وتعلم جيداً أن التجارة لا تستقر على حال واحد، أيام حلوة وأيام مرة. أنا على يقين أن التجارة تسري في عروقك كسريان الدم وثقتي بك عالية جداً ولا حدود لها وأعلم جيداً أنك ستجد الطريقة المناسبة للتغلّب على تلك المشكلة. وإذا كان أي شيء أستطيع عمله للمساهمة فأرجوك أن تخبرني بذلك. أنا على أتم الاستعداد للمشاركة والوقوف إلى جانبك فأنت زوجي وحبيبي).

ما أحلى هذه الإجابة وما أعذبها. تصور عزيزي القارىء وقع ذلك على مسامع الرجل المتذمر؟ التشجيع بدل النصيحة.

٣ ـ أياد وزوجته هيفاء:

يعود الزوج أياد إلى البيت وهو في حالة صمت وهدوء ويبدو عليه القلق والاضطراب. تلاحظ الزوجة هيفاء ذلك وتقرر مساعدته في إخراج زوجها من حالته النفسية تلك.

تقول الزوجة: (ماذا دهاك؟ ما الأمر؟).

يرد عليها الزوج قائلاً: (آه... لا شيء، المشكلة هي سكرتيرتي في العمل فهي لا تقوم بما أطلبه منها، لا تستمع إلى ما أقول).

تتفهم الزوجة استياء زوجها إلا أنها في نفس الوقت تتفهم أيضاً استياء السكرتيرة، فالزوجة تعتقد بأن الأمور ستتحسن لو أن زوجها حاول الانتباه إلى السكرتيرة وفهم ما يضايقها وبالتالي الوقوف على حقيقة

الموقف. ذلك الموقف الذي يدفعها إلى عدم تلبية طلباته الوظيفية. هذا ما أشارت به الزوجة وطلبت.

(هنا نقول: لا شك أن هيفاء على حق في تفكيرها هذا إلا أن الوقت لا يسمح لمثل هذا الكلام، من الخطأ أن تقول الزوجة رأيها هذا لزوجها وهو في مثل هذه الحالة، كل ما يحتاجه الزوج في مثل هذه المواقف هو مساندة الزوجة له ومؤازرته، يحتاج إلى تعاطفها ووقوفها إلى جانبه).

قالت الزوجة: (أراهن لو أنك أخذت بعض الوقت وحاولت الإصغاء إلى السكرتيرة فستكون لذلك نتائج إيجابية. لا شك أنك قليل الكلام إليها، حاول أن تفاتحها بالموضوع وتناقش معها).

هنا تنتاب الزوج حالة نفسية جديدة، في البداية أصابته دهشة كبيرة بعد تلك الدهشة انتابه غضب شديد وبعد ذلك التزم جانب الصمت المطبق. شعر داخلياً بخيانة، نعم فقد خانته زوجته وذلك بتعاطفها ووقوفها إلى جانب السكرتيرة، كيف تجرؤ على ذلك التحيز؟ تعتقد زوجتي بأني أساس المشكلة؟ تعتقد زوجتي بأني قليل الكلام؟ أنا أتكلم مع السكرتيرة إلا أن المصيبة هي أن السكرتيرة لا تستمع لما أقول. يا إلهي كان غضبي بسبب تصرف السكرتيرة في العمل والآن ازداد غضبي وارتفع ضغط دمي بسبب تصرف زوجتي.

حاولت الزوجة مساعدة زوجها على التوسع في التفهم، إلا أنها وبدون أي قصد أساءت وجرحت كبرياءه.

٤ ـ ماهر وزوجته سارة:

ذات يوم قرر الزوج ماهر أخذ زوجته سارة إلى أحد مطاعم الدرجة الأولى وذلك من باب حسن المعاملة وتقوية الرابطة الزوجية، وعند وصولهما المطعم اضطرا إلى انتظار طالت مدته لحوالي (٤٥) دقيقة حيث كان المطعم مزدحماً، أثناء ذلك الانتظار كان الزوج مستاء وبدأت عليه

بوادر التضايق، حاول عدة مرات الحصول على طاولة إلا أن محاولاته باءت بالفشل، وما زاد من استيائه وغضبه هو وصول أناس آخرين بعده حصلوا على طاولات وقدمت لهم الخدمة. السبب في ذلك هو حجز هؤلاء الناس المسبق.

وبينما هم في الانتظار قالت الزوجة سارة عبارة لم يودّ الزوج سماعها آنذاك. ففي الانتظار وبينما كان الزوج ماهر يغلي في داخله قالت الزوجة: (هل تعتقد أننا كنا سننتظر كل هذه الفترة لو أننا قمنا بالحجز المسبق؟).

اشتد ماهر غضباً وبدأ الشرر يتطاير من عينيه وبقي ساكتاً لفترة وبعدها وبتمتمه قال: (كلا).

كل غضب ماهر الذي كان في داخله بسبب المطعم والانتظار تغير مجراه، إنصبّ على رأس الزوجة. والسبب هو جملتها تلك التي قالتها. هنا بدأ الزوج يفكر ويقول في داخله: (ما هذا الكلام الغبي الذي قالته؟ أنا لا أصدق أذنيّ، إذا كانت صاحبتنا فعلاً بمثل ذلك الذكاء، يمكن لها في المستقبل أن تقوم بالحجز المسبق، أنا أكره مثل هذه الانتقادات التي ترفع عندي ضغط الدم. هل تعتقد بأني لم أدرك غلطتي في عدم الحجز المسبق؟! تتصرف وكأن واجبي يحتم عليّ أن أتذكر كل شيء، الكلام معها مضيعة للوقت وحرق أعصاب).

ما أراد الزوج حقيقة في تلك اللحظات هو وقوف زوجته إلى جانبه وليس استغلالها الفرصة لمحاولة إصلاحه وذلك عن طريق الانتقاد. كلّ مّا أراده منها الزوج هو موافقته على أن الخدمة بطيئة وسيئة. أما الزوجة سارة فجملتها التي قالتها كانت من منطلق حسن النية، كل ما أرادته هو كان هناك طريقة يمكن أن تجنّبهم كل هذه المعاناة ألا وهي الحجز المسبق.

هناك مسألة أخرى تسبب المشاكل فعندما تشترك المرأة في حديث ما فإنها تسمع كلام الآخرين وتفهمه من منطلق التواصل والإلفة والمحبة، هذا هو أسلوبها

وفهمها وتعاملها الفطري مع المجتمع ومع مجريات الحياة بصورة عامة.

أما عندما يشترك الرجل في حديث ما فإنه يسمع كلام الآخرين ويفهمه من منطلق المرتبة والهرمية، إذ أن ذلك هو أسلوبه وفهمه وتعامله الفطري مع المجتمع ومع مجريات الحياة بصورة عامة.

وبناء على ذلك المفهومان المتغايران فإن الحوار بين الرجل والمرأة يدخل في متاهات وسوء فهم وكل منهما يفهم الأمور بطريقة مختلفة عن الآخر. (ستوضح ذلك في فصل آخر).

هناك من يقول أن الرجل والمرأة قد جاءا من عالمين مختلفين، هذا القول وللوهلة الأولى قد يبدو غريباً وغير مقبولاً إذ أن الأخوة والأخوات قد نشأوا وترعرعوا في نفس البيت.

هذا صحيح، ولكن عندما كبر هؤلاء الأطفال نرى الذكور اختلفت مفاهيمهم وأساليبهم في الحياة عن الإناث، فما السبب في ذلك التغير وكيف ومتى حصل؟.

تبدأ من الصغر:

ينشأ الأولاد والبنات في عوالم كلمات وجمل مختلفة حتى لو أنهم تربوا في نفس البيت ونفس الشارع أو الحي ويتعلم الأطفال بصورة عامة أسلوب الكلام والمحادثة من والديهما ومن الناس الآخرين المحيطين بهم.

تظهر الدراسات أن الأطفال من الذكور والإناث يتحدثون بطرق مختلفة إلى أصدقائهم ويفضلون اللعب مع أبناء جنسهم، وإن اختياراتهم للألعاب مختلفة، ومن ثم فإن اللغة المستعملة تكون مختلفة.

يفضل الأولاد اللعب في الخارج، وفي لعبهم عادة ما يكونون مجموعات كبيرة يكون الأولاد فيها متساوون في المنزلة ويكون هناك رئيس يقوم بدور القيادة في اللعب. هذا الدور للرئيس هو بمثابة إعطائه منزلة عليا اتفق عليها

جميع الأطفال، ولغة اللعب هي أشبه ما تكون «أوامر».

وفي ألعابهم غالباً ما ترى وجود (غالب ومغلوب)، وألعابهم هذه غالباً ما تتسم بطابع (الجدل والنقاش).

أما بالنسبة للبنات فإن طريقة لعبهن تختلف عن الأولاد، فنراهن يفضلن اللعب بشكل مجموعات صغيرة أو حتى اثنتان اثنتان فقط، ويكون عند الطفلة ما يسمى «أفضل صديقة».

في ألعاب البنات لا يكون هناك (غالب أو مغلوب) ولا يكون هناك من يقوم بدور الرئيس مثلما عند الأولاد. وكذلك فإن ألعاب البنات تتميز بإعطاء كل بنت دور في اللعب، وتكون لغة اللعب خالية من الأوامر، وتعبّر البنات عن آرائهن ورغباتهن بشكل «اقتراحات».

يقول الولد: أعطني هذا. أو: أخرج من الملعب. بينما تقول البنت: دعونا نفعل ذلك. أو: ما رأيكن أن نفعل كذا. وفي لعب البنات نراهنّ يجلسن ويتحدثن مع بعضهن البعض ولا يحاولن الحصول على المنزلة العليا، إذ أنهن يشعرن أنهن سواء.

هذه نبذة مختصرة عن التصرفات التي يقوم بها الأطفال في ألعابهم وتصرفاتهم أثناء ذلك، وقد قام عدد كبير من المختصين وعلماء النفس بدراسات طويلة استمرت سنوات عديدة للتعرف على نفسية الأطفال الذكور والإناث منذ الطفولة وأثناء النشأة وتأثير ذلك على تكوينهم الشخصي وعلى تصرفاتهم عند الكبر. وقد ألفت كتباً عديدة في هذا المجال وهي محط أنظار معظم الأباء والأمهات.

ومن البديهي فإن التعمق في تلك الدراسات ومحاولة شرحها يحتاج إلى كتاب خاص ولا يمكننا إعطاء ذلك الموضوع قدره هنا إذ أننا بصدد الكلام عن سايكولوجية المرأة والرجل ومشاكلهما الناتجة عن الاختلافات الطبيعية بينهما.